مجلة شهرية

نـــور يسوع المسيح المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ الـ ـالب

Issue No: 76 :عدد
December 2013 كانون أوّل

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دير القديس سابا العامر للروم الأرثوذكس

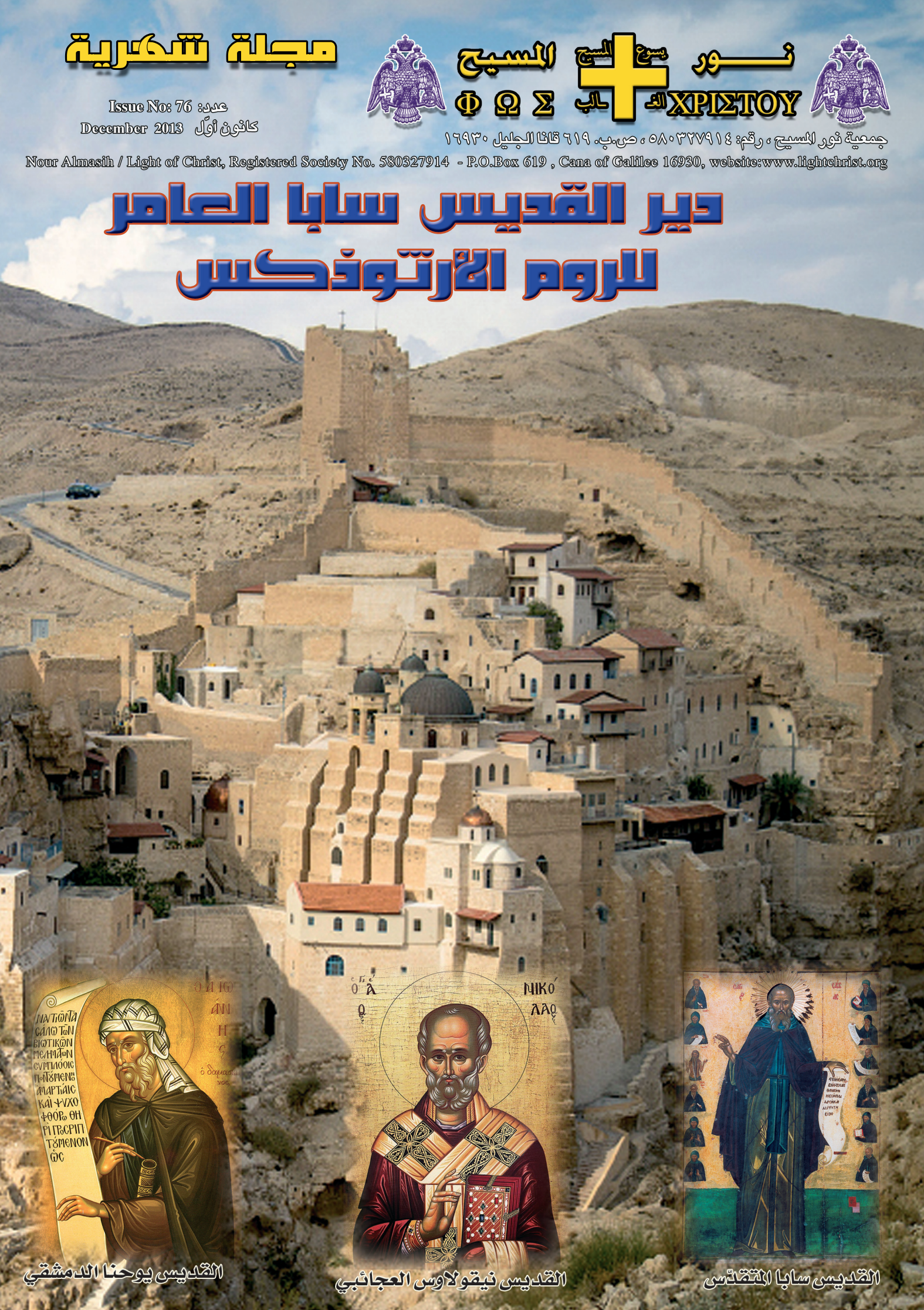

القديس يوحنا الدمشقي

القديس نيقولاوس العجائبي

القديس سابا المتقدّس

محتويات العدد

2	خطوة العمر
2	صلاة للقديس مكاريوس الكبير
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4	الرسول يعقوب أخي الرب
5	الحياة الإجتماعية القديس سمعان اللاهوتي
6	التجسّد الإلهيّ القديس كيرللس الإسكندري
8	أيقونة السيّدة الخوزيبيّة
9	العظات الثمانية عشرة للقديس كيرللس الأورشليمي
10	الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور
12	العناية الإلهيّة - الذهبي الفم
14	كلمة كنيسة ؟
15	العهد القديم (٦٠)
16	نصيحة الى الشباب القديس باسيليوس
18	التربية في العائلة سوزان سيمون
21	مدينة أريحا
22	الصراع العقلي ضد الخطيئة للاب متى المسكين
23	التريكويترا

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الهي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

خطوة العمر تبدأ بالتوبة الحقيقيّة.

عندما سقطت إحدى البنايات الضخمة، قال أحد الناجين:

«لا أعرف كيفَ نَجَوْتُ، لقد كنتُ بين أنياب الموت، لكنّي قَفَزتُ خارجاً. لقد كانت خطوة واحدة هي التي أنقذتني من الهلاك.

فحين سمعتُ صوت الإنفجار خَطوْتُ إلى الأمام، وما كدّتُ أخطو حتى سقَطَ حجرٌ عظيمٌ فوق المكان الذي كَنتُ واقفاً فيه.

فكانت هذه الخطوة هي خطوة العمر، الخطوة الرائدة بين جميع خطواتي، والتي ستتبعها بقيّة خطوات عمري».

إنّها دفعة إلهيّة شاءت أن تمنح النجاة مع استجابة إنسانيّة سريعة مباشرة.

ففي هذه الخطوة إلتقت إرادة الإنسان فأنتجت حياة وخلاصاً ونجاة.

إلتقت إرادة اللّه المُمسك بمفتاح الحياة والموت والمصير، والمتسلّط في مملكة الناس بإرادة الإنسان الذي يسعى إلى الحياة والخلاص والنجاة. ومثل هذه الخطوة تتكرّر كثيراً في حياتنا دون أن ندري.

فكل لحظة من لحظات العمر تُسلّمنا إلى اللحظة التالية تحت عين السماء.

وتتتابع الخُطى في طريق العمر كله. حين يُنَجّي اللّه أجسادنا، ويحمي حياتنا على الأرض.

غير أن فضل لحظات العمر هي تلك اللحظة التي تلتقي فيها إرادتنا مع إرادة اللّه، لِيُنَجّي أرواحنا من الهلاك الأبدي.

وأجمل خطوة هي تلك الخطوة الرائدة التي فيها نتّجه بإرادة صادقة نحو اللّه، نُعلن له عن توبتنا الحقيقيّة ، وخاصّة في فترة صوم الميلاد المبارك، طالبين منه الصَّفحَ عن ذنوبنا وزَلاتنا.

أنها الخطوة الفاصلة بين الموت والحياة، وهي الخطوة التي يكشف اللّه لنا فيها ، كيفَ نجد الطريق المضمون للحياة والخلود.

إنّ هذه الخطوة نحو اللّه هي حقّاً رائدة الخُطَى

إنّ كلّ خطوة نخطوها
هي إيقاع في ترتيلة
الرحيل نحو الملكوت السماوي

صلاة للقديس مكاريوس الكبير:

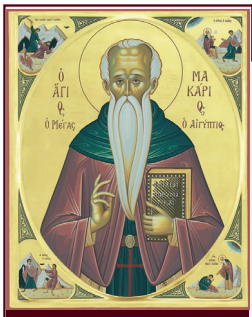
القديس مكاريوس الكبير

يا ربّي ارحمني أنا الخاطىء، لأنّي لم أعمل الصّلاح أمامك، وأنقذني من الشيطان، واجعلني مستحقّاً بدون إدانة، إفتح فمي الغير المستحق لكي يمجّد اسمك الكليّ القداسة، إغفر لي ذنوبي يا ربّي، أنتَ فاحص الكُلَى والقلوب، وأنتَ عارفٌ بكل إتّجاه خاطىء أو نبضة شرّيرة في قلبي، وأنتَ يا ربّي وسيِّد كلّ أحد، تعرف أنّ جميعها دوافع غير إراديّة. سامحني يا ربّي لاقترابي الغير مستحقّ نحوكَ وذلك لاشتياقي اليكَ، إغفر لي أنا الخاطىء والكاذب، والغير الصبور، وضعيف القلب، والكسول، والذي أهْمل وصاياك المقدسة، الشخص الذي عمل كل خطيّة وكل التعدّيات: عبادة الأصنام ، الزنَى، والاستغلال السَيء على الأرض وفي البحر وفي كل مكان على مملكتك.

آه يا سيّدي أنّي لم أكفّ عن عمل الشرّ والأشياء المشينة أمام عيناك الفاحصة التي تعرف أعماق النفس ، وأيضاً لم تتوقّف الشهوات المتغلّبة عليَّ في نهمي للأكل وملذّاتي ورغباتي الشرّيرة كالغشّ، والعظمة الكاذبة وفي الكبرياء. ولكن أنتَ يا ربّي الواحد الوحيد العظيم الرحوم ساعدني وخلّصني مثل الإبن الضّال والزانية واللص.أيها السيّد العظيم الطَيِّب الذي أحبَّ الإنسان ، لا ترفض خادمك العديم القيمة من خلال شفاعات السيّدة العذراء النقيّة مريم وجميع قديسيك. آمين

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة تذكار الرسول القديس الشهيد في الكهنة يعقوب أخي الرب أوّل رئيس أساقفة اورشليم

«هلموا نعظّم كلّنا بالأناشيد الشريفة يعقوب صاحب الكرسي الأوّل، وكوكب الكنيسة. فإنّه كان رئيس كهنة وكاروزاً الهيّاً. وقد لُـقِّبَ بالصدّيق تلميحاً بصفته».

أيها الأخوة الأحباء. أيها المؤمنون ، والزوّار الحسنيّ العبادة .

صاحب الكرسيّ الأوّل للكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسوليّة، يعقوب الصدّيق والشهيد في رؤساء الكهنة ، الذي نعيّد لتذكاره المقدّس اليوم في هيكل الكنيسة التي تحمل اسمه الكريم، في هذه المدينة المقدسة حيث مقرّ أجداده ودفيئة كنيسة الأم الأورشليميّة. هذا القديس الذي نُصِّبَ أوّل رئيس كهنة لمدينة أورشليم ، من قِبَل كلمة اللّه الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح.

إنّ كلمة اللّه الآب وابنه الوحيد. لما وافى الينا في آخر الأيام، جعلك يا يعقوب الملهم باللّه راعٍ ومعلم لأورشليم. مدعواً بأخي الربّ ، فقد (ترك لنا شهادة حقيقيّة بالمسيح ، من خلال دمه الكريم الذي سفكه من اجل هذا الإعلان).

ويحدّثنا بذلك مؤرخا الكنيسة ، أقساپيوس من قيصرية فلسطين ، وإيجوسيپوس القائلين: «إن القديس يعقوب ـ قبل حصار الغيورين أبناء جنسه وموطنه في أورشليم ويهوذا ـ دعوه ليعطي شهادة من أجل يسوع المسيح من على جناح الهيكل، فاعترف جهاراً بأنّ يسوع المسيح إبن الإنسان،وهو ابن اللّه الذي يجلس عن يمين قدرته (متى ٨: ٢٠) ، (عب١: ٣)، الأمر الذي حذا بهم لإسقاطه نحو الأسفل ، وضربه بخشبة حتى أنه فارق الحياة».

إنّ كنيسة المسيح تفرح وتبتهج، وخاصة الكنيسة الأورشليمية، لأن الرسول يعقوب هو أوّل من تبوّء سدّة الأسقفيّة في المدينة المقدسة أورشليم، فالربّ يسوع المسيح، هو الذي إختارَه ورسمَه لهذا المنصب الروحي الكبير. وهو أوّل من كتب وشرح بإلهام يسوع المسيح ومؤازرته، نصّ وفحوى الليتورجيا الإلهيّة.

أيها الأخوة الأحباء، أصبح القديس يعقوب: الشاهد الذي أبصَرَ بذاته ، وسمع بنفسه ، السرّ الإلهيّ وتعاليم المسيح الخلاصيّة ، كما يتجلى لنا ذلك من خلال رسالته الجامعة، حيث يسمّي نفسه: «يعقوب عبدٌ للّه والربّ يسوع المسيح» (يع

١:١). وفعلاً فإن القديس يعقوب قد ارتقى بفضائله ليكون معترفاً بأنّه عبدٌ للمسيح، ذلك لأنه أصبح مقتدياً بأقوال وأعمال المسيح، كما يؤكّد ذلك في كرازته من أجل فهم مضمون الإيمان فيقول: « ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحدٌ إنَّ له إيماناً ولكن ليس له أعمال. هل يقدرُ الإيمان أن يُخَلِّصه ؟ إن كان أخٌ وأختٌ عُريانين ومُعتازَين للقوت اليومي، فقال لهما أحدكمُ: "امضيا بسلام، استدفئا واشبعا". ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد، فما المنفعة ؟ هكذا الإيمان أيضاً، إن لم يكن له أعمال، ميّت في ذاته ... لأنه كما أن الجسد بدون روح ميّت، هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمالٍ ميّت» (يع ٢: ١٤-١٧ و ٢٦).

إنّ الربّ يسوع المسيح هو مؤسّس الكنيسة وضابطها لذا فهي تعبر جسده السريّ ، وقد أوكَلَ للتلاميذ الأطهار رسالة الكرازة بالإنجيل الخلاصيّ المفعم بمحبّته الإلهيّة غير الموصوفة.

فالكنيسةُ تدعونا اليومَ ، من خلال أسقفها يعقوب أخي الربّ لكي نُقْدِمَ على معرفة ايماننا المسيحيّ وسَبر غوره، وإدراك الحقيقة بالمسيح كما يقول القديس بولس الرسول الأَلَهي: « لأنّ هذا حسنٌ ومقبولٌ لدى مخلصنا اللّه. الذي يريد أن جميع الناس يخلصون. وإلى معرفة الحقّ يُقبلون» (١تيمو ٢: ٣-٤). من ناحية أخرى، فهو الهدف الكرازي للرسل الأطهار ، كما يقول مرنّم الكنيسة: «لقد اركبتَ خيلك وهم رُسلك البحرَ يا مخلّص. فأناروا الأمم وقادوهم الى معرفتك يا ربُّ».

نقول هذا لأنّ كثيراً منّا نحن المؤمنين ، لم نبقَ ثابتين على صخرة إيماننا بالمسيح يسوع وتعاليمه الخلاصيّة ؛ إنّ الدهشة قد امتلكتنا لعدم إستجابة صلواتنا وتضرعاتنا التي نرفعها إلى اللّه جلّ جلاله ؟! وهاذا ما يُنوّه به قديسنا يعقوب فيقول: «ولكن ليطلب (المؤمن) بإيمان غير مرتاب البتّة، لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريحُ وتدفعه، فلا يظنّ ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الربّ» (يع ١: ٦-٧).

لهذا السبب قديسنا يعقوب يتوجّه إلينا طالباً أن نقترب من اللّه من خلال التوبة الحقيقيّة ونقاوة الطهارة. قائلاً: «اقتربوا الى اللّه فيقترب اليكم، نقّوا ايديكم ايها الخطاةُ، وطهّروا قلوبكم يا ذوي الرأيين» (يع ٤: ٨).

وبشكل اكثر وضوحاً : اقتربوا من اللّه ، فاللّه يقترب اليكم. نظّفوا انفسكم من جميع الذنوب والخطايا الداخلية والخارجيّة ايها الخطاة، وطهّروا داخلكم انتم يا ذوي الرأيين الذين تعرّجون بين الفرقتين ، فطوراً تسيرون مع اللّه ، وطوراً مع أباطيل العالم.

إن الكلام الذي يتفوّه به القديس يعقوب هو كلام يوحيه له ويلهمه به الروح القدس روح الحقّ الذي من الآب ينبثق، هذا الكلام نافعٌ لزمان القديس كما لزماننا نحن أيضاً. ولكل زمَنٍ لأن الروح القدس يعلو على كل الأوقات والأزمنة .

لكن وقتنا المعاصر هو وقتُ التحديّات الذي يهدّد بشكل كبير الإنسان المؤمن باللّه ، وخاصة إنسان كنيسة المسيح ، لكنّه مع المسيح سوف يغلب العالم «ثقوا إني قد غلبتُ العالم» من خلال هذه الكنيسة التي أبواب الجحيم لم ولن تقوى عليها. (متى ١٨:١٦).

إنّ كلمة ربّنا يسوع المسيح لها قوّة إلهيّة فائقة وغير محدودة، خاصة لأم الكنائس أي الكنيسة الروميّة الأورشليميّة، التي أضحت وسط **القوات المخرّبة ، المنظورة وغير المنظورة لهذا القرن ، الواقع تحت سلطة الشيطان في هذا العالم الحاضر الشرير** (غلاطية ٤:١)،. لكن الكنيسة في المقابل ، تضع الصليب المقدّس أمام هذه القوّات المظلمة والظالمة، صليب ضحيّة المحبّة والمصالحة للمسيح يسوع المُقام من بين الأموات بقوّة لاهوته.»

هذا الأمر يتحقّق فقط من خلال رفع الصلوات والابتهالات، بلجاجة، وبعمق إيمان وفكرٍ طاهر نقيّ، صابرين حتى المنتهى لكي نخلص، طالبين صلوات وشفاعات الفائقة القداسة والدة الإله الدائمة البتولية مريم ، وشفاعة القديس المجيد في الرسل الاطهار القديس يعقوب أخي الربّ أول رئيس أساقفة أورشليم. فنتضرّع إليه مع المرنم قائلين:

«هلمّوا يا حسني العبادة نمتدح كلّنا اخا الرب بالاناشيد فرحين. ونغبّطهُ عن صدق ايمان. فإنّه قام اوّل مُتَبوّىء في المسيح لسَدّة صهيون الاسقفية الالهيّة. فابهجها ببهاء كلّ الاعمال الفاضلة والاقوال الالهية والمواهب وصنع العجائب. فلنَهتفنَّ نحوهُ قائلين يا كاروز المسيح يعقوب تشفَّع الى المسيح الاله. طالباً ان يهب غفران الزلّات للمعيّدين بلهفة لتذكارك المقدس» .

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الرسول القديس الشهيد في الكهنة
يعقوب أخي الربّ أوّل رئيس أساقفة أورشليم

الرسول القديس الشهيد في الكهنة يعقوب أخي الربّ أوّل رئيس أساقفة أورشليم

إن يعقوب المذكور كان على رأي البعض ابن يوسف الخطيب مولوداً له من إمرأته التي كانت معه قبل ان يخطب مريم العذراء الدائمة البتولية، ولذلك قيل عنه أنه ابنها واخو الرب كما يُظنّ بالرب أيضاً انه ابن يوسف (متى ٥٥:١٣). ويرى آخرون انه كان ابن اخي يوسف اي ابن كلاوبا او كلوبا المدعو حلفى أيضاً مولوداً له من مريم امرأته التي كانت اخت والدة الإله او بالأحرى ابنة خالتها وعلى هذه النسبة أيضاً كان يُقال له اخو الرب للقرابة التي بينهما اتّباعاً للهج الكتاب المقدّس. فيعقوب هذا يلقبه الإنجيليون بالصغير (مرقس٤٠:١٥). تمييزاً بينه وبين يعقوب بن زبدى الذي يُلَقّب بالكبير. وقد أقيم اول أسقف على اورشليم سنة ٣٤ فالبعض يرون ان الرب نفسه اقامه على السدّة الأسقفيّة. وأما أفسابيوس فيقول ان الرسل اقاموه وكان يُلَقّب بالولي لعظم برّه وعدله. ويقال انه كان على جانب عظيم من شظف العيش بحيث أن كافة أعضائه أصبحت مائتة، وان انعكافه على الصلاة ومناجاته المتواصلة ووجهه لاصق بالأرض جعل جلدة جبهته قاسية كجلدة رُكب الجمل. (كما يذكر ذلك الذهبيّ الفم).

ثم صعد في يوم عيد الفصح على جناح الهيكل وهو المكان البارز في سقف الهيكل، إذ حثّه الجميع على ذلك، واعطى من هناك الشهادة عن يسوع المسيح التي كانوا يطلبونها منه كارزاً بصوت جهير ان يسوع جالس عن يمين القوة العظمى وهو مزمع ان يأتي على سحب السماء. فعند هذه الشهادة صرخ كثيرون من الحاضرين قائلين «**هوشعنا لابن داود**». اما الكتبة والفريسيون فصاحوا قائلين «**اواه ثم اواه فإن الصدّيق ايضاً قد ضَلَّ**» ثم دهوروه من هناك بأمر حنان رئيس الكهنة ورجموه وهو يصلي من أجل قاتليه ثم شُجَّ رأسه بخشبة فأسلم الروح سنة ٦٢ (راجع تاريخ افسابيوس الكنسي الكتاب ٢ الرأس ٢٣). وقد كتب هذا الرسول الرسالة الأولى من الرسالات المدعوة كاثوليكيّة أي الجامعة الى اليهود في الشتات.

الحياة الاجتماعيّة عند القدّيس سمعان اللاّهوتيّ الحديث

أنتم رسالة المسيح، فتصالحوا مع اللّه على الأرض.

لم تكن اهتمامات القدّيس سمعان بطابعها الأخلاقيّ والتربويّ والروحيّ، تنحصر بالأمور الديريّة فقط، بالرغم من اعتزاله النهائيّ للعالم وطبيعة حياته التوحّديّة. بل طالت اهتماماته حياة العلمانيّين والمجتمع بشكل عامّ.

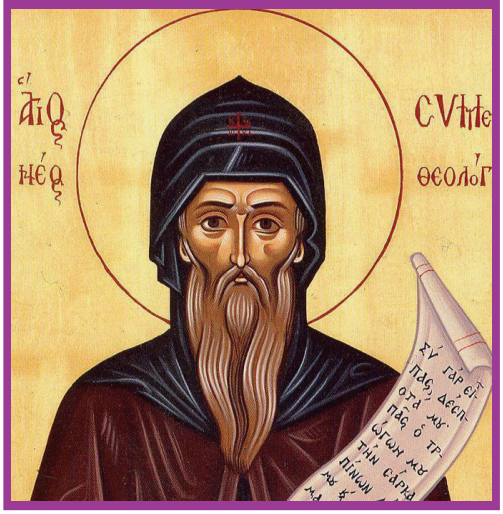

انتقد القدّيس سمعان، وبشدّة، النظام الاجتماعيّ المؤسّس على الثروات الماديّة، مرتكزاً في انتقاده هذا على مبادئ تطبيق الوصايا الإنجيليّة، مقتفياً بذلك النهج الروحيّ الذي اختطّه القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم. لقد أدان القدّيس سمعان، في تعاليمه، مؤسّسات القطاع الخاصّ وتملّك الأراضي، وبشكل عامّ قنية الأموال كمصدر للاّمساواة الاجتماعيّة ولآلام الفقراء. ويقول:«إنّ الأموال والخيرات الموجودة في العالم تخصّ الجميع كما هو الحال بالنسبة للنور والهواء الذي نستنشقه. كلّ الأشياء خُلقت من أجل الكلّ، لكي يستفيد ويتنعّم بها الجميع. أمّا بالنسبة للأملاك، أي الأراضي، فهي ليست ملكاً خاصّاً لأحد. لكنّ الطمع المستبدّ بالإنسان جزّأ خيرات هذه الأرض بطريقة وأخرى على خدّامه والخاضعين له، وأغلق عليها داخل الأسوار، وأحاطها بأبراج ومزاليج منيعة، محرِّماً على الآخرين التمتّع بخيرات السيّد الإله، ومستأثراً بها، ظانّاً بأنّها لا تشكّل أيّ ضرر لأيّ كان، ناسياً أنّ الذي يخدم هذا الهوى، أي الطمع، يصبح ليس فقط سيّداً على الأملاك والخيرات المخبّأة في الأهراءات، ولكنّه يصير عبداً وحارساً شرّيراً لها».

كما يدين القدّيس، بقساوة، ظلم المجتمع وجوره قائلاً: «لقد أوحى لنا الشيطان بأن نقتطع لنفوسنا أملاكاً، ونختصّ لذواتنا أراض، وندّخر أموالاً تجعلنا مستحقّين القصاص الأبدي والدينونة: ندان، أوّلاً، لفقدنا الرحمة تجاه القريب. وثانياً، لأنّنا وضعنا رجاءنا على الخيرات الماديّة المذخورة وليس على اللّه. هذا الإنسان يحاسب كمذنب كونه مسؤولاً، في وقت من الأوقات، عمّن فقدوا حياتهم بسبب الجوع أو العطش، في حين كان يستطيع إطعامهم ولم يطعمهم، خافياً حصّة الفقراء، تاركاً إيّاهم يموتون من الجوع والبرد. لقد ظهر قاتلاً لأخيه الإنسان أكثر من مرّة مَن كان باستطاعته إعالة الكثيرين».

إنّ القدّيس سمعان ليس مصلحاً اجتماعيّاً، ولا هو يطرح حلولاً محسوسة لتحسين حياة البشر الماديّة على الأرض، فضلاً عن أنّ الفقر، بحدّ ذاته، لا يعتبر شيئاً بالنسبة إليه، بل هو، على العكس، يساعد المؤمن على السلوك وفق تعاليم السيّد مقتدياً به إذ يقول: «من أجلك صار اللّه إنساناً وفقيراً، فعليك، بالمقابل، أنت، أيضاً، الذي تؤمن به أن تصير فقيراً من أجله. هو فقير بحسب الطبيعة البشريّة، وأنت فقير بحسب الألوهيّة. افتقر السيّد لكي تغتني أنت، ولكي يجعلك مشاركاً له في خيرات النعمة الإلهيّة. لهذا السبب اتّخذ جسداً لكيما يكون لك الشركة في ألوهيّته». ثمّ يضيف: «من المؤكّد أنّه جيّد ومفيد أن يوزّع الإنسان ثروته على الفقراء. كذلك يجب أن يعلم من ترك العالم وكلّ مافيه حبّاً باللّه أنّ هذا، وحده أيضاً، لا يكفيه لكي يكون كاملاً في عينيّ الله من دون الصبر على التجارب».

يُظهر القدّيس سمعان في تعاليمه موقفه تجاه كبار هذا العالم مقارناً بين الملك الأرضيّ والملك السماويّ فيقول: «نعم، في المفهوم البشريّ الكلّ، تقريباً، يطرح جانباً، وباشمئزاز، الضعفاء والفقراء والمساكين، حتّى إنّ الملك الأرضيّ لا يحتمل رؤيتهم، والأغنياء ينظرون إليهم باستخفاف واستهزاء دون أيّ اعتبار أو أهميّة. مرافقتُهم تبدو غير مستحبّة، وغير مرغوبة من أحد. ولكنّ اللّه الذي تخدمه القوّات الملائكيّة بأعداد لا تحصى، والذي يحمل الكلّ بكلمة قوّته، والذي لا يستطيع أحد أن يصمد أمام عظمته، لم يأنف من أن يكون أباً وصديقاً وأخاً لهؤلاء المرذولين من الجميع».

ويصرّح القدّيس سمعان بأنّ كلّ الجهود البشريّة التي جرت في مختلف المجتمعات من أجل إحلال السلام فيها، هي قابلة للفشل إذا لم تتوافق مع مشيئة اللّه أي مع إتمام وصاياه، وفق حياة مسيحيّة حقيقيّة فيقول: «كيف يمكن أن يكون مسالماً ذاك الذي أصبح غريباً عن اللّه، ولا يسمع الصوت القائل: أنتم رسالة المسيح، فتصالحوا مع اللّه على الأرض. كلّ من يتخطّى الوصايا الإلهيّة يُعتبر مقاوماً للّه، وهو، ولو حقّق السلام بين الناس، يبقى عدواً للّه، لأنّه لم يطبّقه بحسب مرضاته. فإذا كان هذا الإنسان هو نفسه عدوّاً للّه، فيكون، بالتالي، أولئك الذين تصالحوا فيما بينهم، بواسطته، أعداء للّه أيضاً».

نستطيع أن نستنتج بأنّ موقف القدّيس تجاه العالم وواقعه يبقى دائماً الموقف المسيحيّ الغير المزيّف، الغير المشوّه، مخصّصاً كلّ شيء للّه ولإرادته. لم يكن القدّيس أبداً لا مبالياً تجاه ما يجري في العالم بالرغم من أنّه راهب، محقّقاً بذلك أنّ الراهب، ولو ابتعد عن العالم جسديّاً إلاّ أنّه يحمل همومه في صلاته. كان القدّيس واثقاً بأنّه لكي يتغلّب الإنسان على شروره عليه أن يغلب، أوّلاً، الخطيئة الموجودة داخله، وأن يرفض كلّ ما يمكن أن يبعده عن اللّه.

يُعتَبَر القديس كيرللس رئيس أساقفة الإسكندريّة، أعمَق مَن تفاعَلَ بالقيَم الروحيّة الفائقة المذّخرة في سرّ التجسّد الإلهيّ. ولذلك فهوَ أكثر مَن اهتَمَّ بالدّفاع عن حقيقَة «**الإتحاد الفائق الوصف**» الذي تمَّ بين اللاهوت والنّاسوت في شخص المسيح. فهذه الحقيقة تملّكت تفكيره الروحي سواء في كتاباته التفسيريّة أو في شروحه للعقيدة أو في كتاباته الروحيّة، والسبب في ذلك أنه تيَقَّن في عمق كيانه الروحي أن الإتحاد الأقنومي الذي تمّ في المسيح هو «بداية ووسيلة اتحادنا باللّه».

وهو «حلول **اللوغوس** ـ الكلمة ـ في الجميع بواسطة الواحد»، وهو بداية قيام «الكنيسة التي هي جسده» بمعنى أن الكنيسة هي امتداد لسرّ التجسد الإلهي الفائق الوصف.

وأقوال القديس كيرللس الخاصّة بهذا الموضوع مبوَّبه تحت ثلاثة عناوين:

أولاً: كيفيّة التجسّد الإلهي الفائق الوصف والتشبيهات المناسبة له.
ثانياً: نتيجة التجسّد الإلهي الفائق ـ حلول اللوغس فينا.
ثالثاً: الكنيسة كامتداد لسرّ التجسّد الإلهي أي «لسرّ المسيح».

أولاً: كيفيّة التجسّد الإلهي الفائق الوصف

كثيراً ما ينعت القديس كيرللس التجسّد الإلهي بأنه:

ـ فائق الوصف	**أفراستوس**	ἄφραστος
ـ سرّيٌ بصفة مطلقة	**أبوريتوس پانتيلوس**	ἀπόρρητος παντελῶς
ـ لا يُنطَق به	**آريتوس**	ἀρρήτος
ـ يفوق القل	**آبي رينو إيتوس**	ἀπερινόητος
ـ سرّي وفائق العقل	آپوريتوس كي إيبرنوون	ἀπόρρητος καὶ ὑπὲρ νοῦν

وهو لا يقصد بذلك أن يُنهينا عن معرفة حقيقة هذا السرّ الإلهيّ ـ وإلاّ فكيفَ نؤمن به؟ بل هو يُنهينا عن إخضاعه للفحص العقلي:

﴿**إنّ كيفيّة الإتحاد عميقة حقّاً وفائقة الوصف** وفائقة لمداركنا. فمن الجهالة التّامة أن نُخضع للبحث (العقلي) ما يفوق العقل وأن نحاول أن نُدرك بعقولنا الذي لا يُدرَك بالعقل. أم لستَ تعلم أنّ **ذلك السرّ العميق يَنبغي أن يُعبَدَ بإيمان بلا فحص؟** وأما السؤال الجاهل «كيف يمكن أن يكون هذا؟» فإنّنا نتركه لنيقوديموس وأمثاله.

وأما نحنُ فإنّنا نقبل بدون تردّد أقوال اللّه ونثق أن المسيح القائل: «الحقّ الحقّ أقول لكم: إنّنا نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا» ...﴾ (في تجسّد الإبن الوحيد ـ PG 75, 1217).

﴿إن كيفيّة التأنُّس عميقةٌ حقّاً وفائقة الوصف وفائقة لمداركنا ... فإن هذا السرّ العميق الذي يفوق العقل ينبغي أن يُعبَدَ بإيمان بدون إلتواء.﴾ (عن الإيمان القويم إلى ثيودوسيوس: ٢٣ PG 76, 1165)

﴿**بأيّة كيفيّة يصير جسد الرب مُحْيِياً ؟** هذا سرّ لا يستطيع فكر الإنسان أن يسبر غوره ولا أي لسان أن يُعَبِّر عنه، ولكنه جدير بأن يُعبَد في صمت وإيمان.﴾ (تفسير يوحنا ٦:٦٤ PG 73, 604 D.)

ولكن بالرغم من أنّنا لا نستطيع أن نُدرك بعقولنا أعماق هذا السرّ الإلهيّ الفائق على مداركنا، إلاّ أنّنا نستطيع أن نقترب إليه بأرواحنا فنعبده «في صمت وإيمان».

وهذا هو ما يقصده القديس كيرللس من التشبيهات الكثيرة التي يُقدِّمها عن هذا السرّ الإلهيّ الفائق الوصف (ومعظمها مستمدٌ من العهد القديم): يقصد أن ينمّي إحساسنا الروحي بسرّ الإتحاد الفائق الذي تمّ بين اللاهوت والنّاسوت في المسيح فيجعلنا نؤمن بهذا السرّ ونعبده «بإيمان بدون إلتواء» فنستمد منه مفاعيله الروحيّة داخل نفوسنا.

بعض الرموز والتشبيهات عن سرّ التجسد الإلهي

١ ـ العُلَّيْقَة .
٢ ـ جمرة أشعياء .
٣ ـ إتحاد النّار بالحديد .
٤ ـ النار والماء .
٥ ـ تابوت العهد .

والمُلاحَظ في معظم هذه التشبيهات أن الجوهر الإلهيّ مُمَثَّل فيها بواسطة النّار. فالنّار رمزٌ مناسب لجوهر اللّه: إنّنا نعلم أن طبيعة اللّه هي المحبّة «اللّه محبّة» وأنَّ هذه المحبّة متأجّجة كالنّار «المحبّة قويّة كالموت ... لهيبها لهيب نار لَظَى الرب» (نش٨:٦) ؛ لذلك قيلَ أيضاً أن «إلهنا نارٌ آكلة» (عب١٢:٢٩). ولذلك فمن المناسب جداً أن يُرمَز لجوهر اللاهوت بواسطة النّار المتأجّجة التي هي أقوى من كلِّ شيءٍ سواها.

١ ـ العُلَّيْقَة .

﴿الكتاب المقدّس يشبِّه الطبيعة الإلهيّة بالنّار بسبب قدرة هذا العنصر الذي يغلب بسهولة كل ما يعترضه. وأما طبيعة الإنسان الترابي فهي على عكس ذلك تُشَبَّه بالزَّرع وبنبات الحقل. فالكُتب المقدّسة ـ من جهة ـ «إن إلهنا نار آكلة»، ومن جهة أخرى «الإنسان

كالعشب وأيامه تفنى كزهر الحقل»، فكما أن العوسج بطبعه لا يحتمل النّار هكذا أيضاً الناسوت بطبعه لا يحتمل اللاهوت.

وأما في المسيح فقد حلَّ كل ملء اللاهوت جسدياً بحسب قول الحكيم بولس: «والساكن في النور الذي لا يُدنَى منه» أتَى وَحَلَّ في هيكل جسده المأخوذ من العذراء.

لذلك فالنّار (التي رآها موسى) ما كانت تحرق العَوْسَج بل كانت تتلاطف وتتآلف مع طبيعة الخشب الضعيفة، وهكذا اللاهوت كان يتآلف مع الناسوت. وهذا هو السرّ الذي تمّ في المسيح. ولكن فينا نحنُ أيضاً يأتي اللوغوس ويسكن (بالنعمة)..﴾ (جلافير عن سفر الخروج PG 69, 413)

وأيضاً عن العليقة يقول في حوار «المسيح واحد».

﴿باطل هو إدّعاء مَن يقول إنّنا باعترافنا بطبيعة كلمة اللّه الواحدة المتجسّد والمتأنّس ، نُحدث اختلاطاً أو امتزاجاً (بين اللاهوت والناسوت) ، ... فإنّهم إذا اعتبروا أن طبيعة الإنسان لكونها ضئيلة جداً أمام الطبيعة الإلّية الفائقة فلابدّ أن تتلاشى إذا ما اتَّحدت بها (١) فإنّنَا نجيبهم: «تضلّون إذ لا تعرفون الكُتب ولا قوّة اللّه» (مت٢٢:٢٩) ، فإنه لم يكن مستحيلاً على اللّه محبّ الصلاح أن يُخضع نفسه لحدود البشرية، وهذا هو ما سَبَقَ موسى وأعلنه لنا فَي سرٍّ مُبَيِّناً لنا في مثال كيفيّة التجسد: فإنّ اللّه قد نزل في العُلَّيْقَة في البريّة بمنظر النّار وكان يضيء العوسج ولا يحرقه. وكان موسى يتعجّب من هذا المنظر. لأنّ الخشب (بطبعه) لا يحتمل النّار. فكيف استطاعت هذه المادّة القابلة للإحتراق أن تحتمل اشتعال النّار فيها (بدون أن تحترق) ؟ لقد كان هذا كما قلتُ مثالاً (τυπος تيبوس) للسرّ الذي به استطاعت طبيعة اللوغوس الإلهيّة أن تُخضع نفسها لحدود البشريّة، لأنه أراد ذلك ولأنه لا يستحيل عليه شَيءٌ قط.﴾ (المسيح واحد PG 75, 1293)

وأيضاً في العظة الفصحيّة السابعة عشرة يتكلّم القديس كيرللس عن العليقة كمثال لإتحاد اللاهوت بالنّاسوت قائلاً ما معناه: إنّ النّار كانت تضيء العُلَيَّقة دون أن تحرقها، وهكذا أيضاً اللوغوس لما تجسَّد لم يَحرق الجسد الذي اتَّحَدَ به بل على العكس جعله جسداً مُحيياً.(عظة فصحية ١٧ .PG 77,781 A-D)

وفي موضع آخَرَ يُطَبِّق رمز العليقة على العذراء نفسها قائلاً: ﴿كما أنَّ النّار في البريّة كانت تشتعل في العليقة بدون أن تحرقها، هكذا أيضاً العذراء قد ولدت «اللّه الكلمة» بدون أن تفقد بكوريّتها﴾ .(ضد الأنثروبومورفيت أي القائلين بأنّ اللّه في شبه الناس PG 76, 1129 A)

٢ ـ جمرة أشعياء .

﴿يقول إشعياء النبي: «فَأُرْسِلَ إِلَيَّ واحدٌ من السيرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح. وَمَسَّ بها فمي وقال: إن هذه قد مَسَّت شفتيك فتنْتُزَعَ إثمك وَكُفِّرَ عن خَطيَّتك» (إش٦:٦–٧).

(١) وهذا الخطأ هو الذي وقع فيه فيما بعد أوطاخي الذي صار يقول بتلاشي الطبيعة البشريّة في الطبيعة الإلهيّة كما تذوب نقطة الخل في المحيط.

ونحنُ نقول إن الجمرة المشتعلة تُقَدِّم لنا مثالاً وصورة اللوغوس المتجسّد الذي حينما يمسُّ شفاهنا ـ وذلك حينما نقرُّ بإيماننا به ـ فهو يجعلنا أنقياءَ من كل خطية ويُبرئنا من الإتهامات المقدَّمة ضدنا. وبالإضافة إلى ذلك يمكننا أن نرى في الجمرة مثالاً لإتحاد كلمة اللّه بالطبيعة البشريّة دون أن يفقد لهذا السبب كيانه الخاص (أي أنّه «لم يَزَل إلهاً»)، بل على العكس مُحَوِّلاً ما قد أخَذَهُ منّا واتّحَدَ به إلى مجده الخاص وعمله الخاص. فكما أن النّار حينما تتصل بالخشب «الفحم» وتدخل فيه تستحوذ على كيانه وتحوِّله، ليس عن كونه خشباً، بل بالحري تحوّله إلى مظهر النّار وقوّتها وتضع فيه جميع صفاتها الخاصّة حتى إنّه يُعتَبر واحداً معها، هكذا سترى في المسيح أيضاً: لأن اللّه المتحد بالنّاسوت بصورة لا يُنطَق بها قد حفظه ناسوتاً بالصفات الخاصة بالنّاسوت وهو نفسه قد بقي إلهاً كما كان، غير أنه من بعد الإتحاد يُعتَبر واحداً مع ناسوته، لأنه اقتنى لنفسه ما لهذا النّاسوت، كما أشاع في هذا النّاسوت أيضاً قوّة طبيعته (الإلهيّة) الخاصّة.﴾ (في تجسّد الإبن الوحيد ـ PG 75, 1217) .

وأيضاً عن جمرة أشعيا يقول في كتابه «ضد نسطور».

﴿إنّ المسيح يُعتبر «واحداً من اثنين» أي من لاهوت وناسوت قد اجتمعا في وحدة حقيقيّة. والكتب الموحَى بها من اللّه تؤكّد ذلك في ربوات من المواضع والكلمات والرموز التي نرى فيها بوضوح بدون عناء «سرّ المسيح». فالنبي المبارَك إشعياء يقول: «فَأُرْسِلَ إِلَيَّ واحدٌ من السيرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح. وَمَسَّ بها فمي وقال: إن هذه قد مَسَّت شفتيك فتنْتُزَعَ إثمك وَكُفِّرَ عن خَطيَّتك» (إش٦:٦–٧). فإنْ بحثنا على قدر طاقتنا عن المعنى العميق لهذه الرؤيا وجدنا أن ربّنا يسوع المسيح هو وحده دون سواه الجمرة الروحيّة الموضوعة على المذبح حيثُ يُقَدِّم ذاته من أجلنَا كرائحة بخور زكيّة للّه أبيه. إذن فهو الجمرة الإلهيّة التي تمسُّ شفتي مَنَ يقترب إليها فتجعله للتَوِّ طاهراً نقيّاً من كل إثم.والمسيح يُشَبَّه بالجمرة لأنه مثلها يُعتَبر من شيئين مختلفين ولكنهما باجتماعهما معاً قد اقترنا معاً في وحدة واحدة. لأن النّار حينما تدخل في الخشب (الفحم) تحوّله بنوعٍ ما إلى مجدها الخاص ومع ذلك فهو يبقى على ما كان عليه (أي خشباً).﴾ (ضد نسطور ٢ ـ PG 76, 62) .

٣ ـ إتحاد الحديد بالنّار .

﴿كما أن الحديد إذا قَرَّبناه من نار شديدة يكتسب للوقت مظهر النّار ويشترك في صفات ذلك العنصر الغالب؛ هكذا أيضاً طبيعة الجسد التي أخذها لنفسه اللوغوس غير الفاسد والمحيي لم تَبقَ على حالها الأوّل بل قد **انعتَقَت من الفساد ومن الفناء** وسادت عليهما.﴾ (عظة فصحية ١٧ .PG 77,785 D-788 A)

﴿إذا وضعتم حديداً في النّار، فإنّه يمتلىء كذلك بقوّة النّار ...؛ وهكذا الكلمة المحيي لما وَحَّدَ بذاته جسده الخاص ـ بالكيفيّة التي هو وحده يعلمها ـ جعل هذا الجسدَ محيياً.﴾ (تفسير لوقا ٢٢:١٩ ـ .PG 72, 909 B) .

٤ ـ النّار والماء .

﴿فإن كانت النّار المرئية تُدخل قوّة طبيعتها الخاصّة في المواد التي تتصل بها وتُحَوِّل الماء نفسَه البارد إلى ما يخالف طبيعته إذ تجعله حاراً، فكيفَ لا نؤمن أنَّ الكلمة الذي من اللّه الآب قد جعل جسده الخاص المتحد به جسداً محيياً؟﴾

(ضد نسطور٤:٥ ـ PG 76, 189) .

٥ ـ تابوت العهد .

يلاحَظ في هذا التشبيه أن جوهر اللاهوت فيه ممثل بواسطة الذهب بدلاً من النّار. فمادة الذهب فائقة على سائر المواد كما أنّ عنصر النّار فائقٌ على سائر العناصر، لذلك فالذهب مناسب للتعبير عن الجوهر الإلهيّ الفائق:

﴿ لقد قال اللّه لموسى: «وتصنع تابوتاً من خشب لا يُسوَّس طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف وتصفّحه بذَهَب نقيّ من داخل ومن خارج» (خروج٢٥: ١٠–١١). فالخشب الذي لا يُسوَّس هو مثال للجسد الإلهي غير الفاسد، وأما الذهب الذي يفوق سائر المواد فهو يدلّنا على الجوهر الإلهيّ الفائق (المتحد بهذا الجسد). ولكن لاحظ كيف أنّ التابوت كان مُصَفَّحاً بذهب نقيّ من داخل ومن خارج. فإن اللّه الكلمة كان متحداً بجسده المقدّس، وهذا معنى تصفيح التابوت من خارج. كما كان متحداً أيضاً بنفسه العاقلة الكائنة في هذا الجسد وهذا معنى تصفيح التابوت من داخل أيضاً. وأما أن الإتحاد لا يعني الإختلاط بين الجوهرين فسنرى هذا أيضاً: لأن الذهب المُصَفَّح على الخشب قد بَقِيَ على حاله، وأما الخشب فقد اغتنى بمجد الذهب غير أنّه لم يخرج عن كونه خشباً.﴾

(أنظر أيضاً «المسيح واحد» ـ PG 75, 1361) .

وهكذا فإن جسد المسيح قد اغتنى بمجد اللاهوت الحالِّ فيه وصارَ مجيداً وَمُحْيِياً، غير أنه لم يتحول عن كونه جسداً بشرياً مساوياً لأجسادنا فيَ كل شيء ما خلا الخطيئة وحدها !

إن جميع التشبيهات السابقة تُعبِّر بدرجات متفاوتة عن حقيقة الإتحاد الأقنومي الذي تمّ بين اللاهوت والناسوت في المسيح الواحد. غير أن القديس كيرللس لا يقصد بذلك أن يرفع طابع السريّة عن هذا الإتحاد الفائق الوصف الذي على الرغم من كل هذه التشبيهات يبقى على مستوى السرّ الفائق على مداركنا الذي لا يستطيع فكر الإنسان أن يسبر غوره.

﴿نحن نقول إن كلمة اللّه قد اتَّحَدَ بطبيعتنا، غير أن كيفيّة هذا الإتحاد تفوق كل فكر بشري. فهي تختلف عن كافة التشبيهات التي قدَّمناها حتى الآنَ بل هي تفوق كل تعبير وكل وصف وليس أحدٌ من الكائنات يعرف حقيقتها إلاَّ ذاك الذي هو وحده عالمٌ بكل شيء.﴾ (

تعاليم في تجسّد الإبن الوحيد ـ .PG 75, 1375-1378 A) .

﴿إن الكلمة المحيي وَحَّد بذاته جسده الخاص بالكيفيّة التي هو وحده يعلمها.﴾

(تفسير لوقا ١٩:٢٢ ـ .PG 72, 909 B) .

وهكذا نرى أن القديس كيرللس يكرّر مراراً كثيرة، أنّه لا يقصد أن يوضّح كيفية الإتحاد الأقنومي، أي كيفَ وَحَدَّ المسيح لاهوته بناسوته، لأن هذه الكيفية تبقى على مستوى السرّ الذي «هو وحده يعلمه». بل ما يقصده القديس كيرللس من جميع هذه التشبيهات هو أن يُنَمّي إحساسنا الروحي بحقيقة هذا الإتحاد الكامل الفائق الوصف الذي تمّ بين اللاهوت والناسوت في المسيح ، فيجعلنا نؤمن بهذا السرّ الفائق إيماناً سليماً ، و«نعبده بإيمان بدون إلتواء» فننال منه كما سنرى في الأقوال القادمة، في العدد القادم.

إيقونة السيّدة الخوزبيّة Hozoviotissa

يقع دير الخوزوفيوتيسا (السيّدة الخوزبيّة) في جزيرة أمورغوس، وهو من أقدم الأديرة اليونانيّة، أسّسه الأمبراطور ألكسيوس كومنينوس الأوّل في القرن الحادي عشر ١٠٨٨م. بحسب التقليد المتناقل الشفهي والمكتوب يرجع تاريخ الإيقونة العجائبية الموجودة في الدير إلى القرن التاسع زمن حرب الإيقونات. وقد انتقلت بطريقة عجائبيّة من خوزبي في فلسطين عبر قبرص وحملتها الأمواج حتّى شاطئ الجزيرة. يروي التقليد أنّ الإيقونة كانت منقسمة إلى جزئين ولدى التطامها بالصخر التحم القسمان عجائبيًا وتلقفها النساك الّذين كانوا يعيشون حينها في شقوق الصّخور هناك .

الشهادات عن تأسيس الدير عديدة وموجودة في سجلات العديد من المطارنة ومحفورة على أواني كنسية أيضًا. يُعتبر الدّير توأمًا لدير القدّيس يوحنّا الحبيب في جزيرة باتموس. بالإضافة إلى الإيقونة الخوزبيّة (Hozoviotissa) المدعوة أيضًا مافروماتاس (ذات العيون السوداء) يوجد إيقونة مشابهة لها أصغر حجمًا تُعرف بإيقونة السيّدة المسافرة (Taxiziotissa). ويغطي الإيقونتين غلاف من الفضة. يُعيّد للسيّدة الخوزبيّة في ٢١تشرين الثّاني في عيد دخول والدة الإله إلى الهيكل.

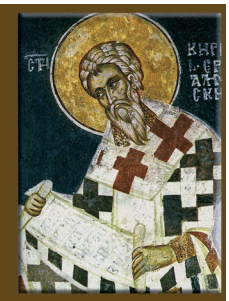

العظات الثمانية عشر لطالبي العمّاد

لأبينا القديس كيرلّس

رئيس أساقفة أورشليم

العظة السابعة في الآب

«لهذا أجثو على رُكبَتيّ للآب، فمنه كل أبوّة في السماء والأرض، وأسأله أن يؤيدكم بروحه على مقدار سِعَة مجده» (أفسس ٣:١٤-١٦)

١) ـ من الوحدانيّة إلى الأبوّة:

لقد حدّثتكم نهار أمس ما فيه الكفاية عن وحدانية اللّه. إني أقول: «ما فيه الكفاية» لا من حيث استحقاق الموضوع (لأنه من المستحيل على طبيعة بشريّة مائتة أن تفيه حقّه)، ولكن من حيث قدرة ضعفنا على التحدّث عنه. لقد تتبعنا الهرطقات العديدة التي تهاجم الجوهر الإلهيّ في مختلف تعاريجها ، وكشفنا النقاب عنها، لا لمَسِّكُم بأذَى ، بل لمضاعفة مقتكم لها. ولكن لنَعُد الى موضوعنا ، ولنتقبّل التعاليم الخلاصية لإيماننا الحقّ. لنُضف «الأبوّة» الى الوحدانية الإلهيّة، ولنؤمن «بإله واحد آب». لا يجب أن نؤمن «بإله واحد» فحسب، بل نؤمن بأن هذا الإله هو أبو الإبن الوحيد، سيدنا يسوع المسيح.

٢) ـ اليهود يرفضون أبوّة اللّه:

لأن عقيدتنا ـ فيما يتعلّق بهذا الموضوع ـ تسمو على عقيدة اليهود الذين يؤمنون بالإله الواحد (ولكنهم كثيراً ينكرونه بانصرافهم الى عبادة الأصنام!)، ولكنهم لا يسلّمون بأنه أبو ربنا يسوع المسيح. وهم بهذا ينقضون أنبياءهم الذين قالوا في الكتب المقدّسة: «قال لي الرب: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك» (مز ٢:٧). إنهم الى يومنا هذا يتآمرون معاً على الرب وعلى مسيحه (مز٢: ٢)، حاسبين أن في استطاعتهم أن يروقوا في نظر الآب دون عبادة الإبن، جاهلين أنه لا يستطيع أحد أن يأتي الى الآب إلاّ بالإبن (يو١٤:٦) القائل: «انا هو الباب» (يو١٠:٩) ، «أنا هو الطريق» (يو ١٤:٦)، فمن يرفض الطريق الذي يقود الى الآب، وينكر الآب، كيف يمكنه أن يكون أهلاً للوصول الى الآب؟ أنهم يناقضون ما جاء في المزمور الثامن والثمانين: «يدعوني أنك أبي وإلهي وصخرة خلاصي، وأنا أجعله بكري العلي فوق ملوك الأرض» (مز٨٨: ٢٧ –٢٨). وإن حاولوا أن ينسبوا هذه الآيات الى داود أو سليمان أو أحد من نسلهم، فليُظهروا كيف يكون عرشه حسبما وُصف في النبوءة: «مثل أيام السماء وكالشمس أمام اللّه، ومثل القمر يكون راسخاً الى الأبد» (مز٨٨:٣٠،٣٨). كيف لا يقلقون مما كُتب: «من الجوف قبل الفجر ولدتك» (مز١٠٩:٣) ؛ وكذلك: «يدوم ما دامت الشمس والقمر الى جيل الأجيال» (مز٧١:٥). إن محاولة نسب هذه الأشياء الى إنسان لأكبر دليل على جهلٍ تام.

٣) ـ الإيمان بالآب يمهّد السبيل الى الإيمان بالابن:

ولكن اليهود سيظلّون مرضى ما داموا مصممين البقاء في عدم إيمانهم المعتاد أمام هذه النصوص وما شابهها. أما نحن الذي تلقينا عقيدة الإيمان، فإننا نعبد إلهاً واحداً، أبا يسوع المسيح (وهو الذي يمنح الجميع قدرة الولادة) ومن يُنكر عليه هذا الحقّ يكون كافراً (أشعيا ٦٦:٩). فلنؤمن بإله واحد آب، حتى اننا قبل أن نشرع بدرس العقيدة الخاصّة بالابن الوحيد ، يرسخ الإيمان بالابن الوحيد في قلوب المستمعين، بدون أن تطرأ على أذهاننا فكرة الانفصال بينه وبين الآب.

٤) ـ لا فاصل في الكيان بين الآب والابن:

لأن مجرّد النطق باسم الآب، ذات التسمية تثير في ذهننا فكرة الابن، كما أن اسم الابن يجعلنا نفكر بالآب؛ وإن كان هو أب فهو أبو الابن في كل مكان. وإن كان هو ابن فهو ابن الآب في كل مكان. وعندما نحن نقول: «أومن بإله واحد آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض»، نضيف: «وبرب واحد يسوع المسيح»، حتى لا يظن أحد أن الابن أدنى منه قداسة، إذ ان اسمه يأتي بعد «السماء والأرض». لذلك دَعَوْنا اللّه أباً لأنّ مجرّد التفكير في الآب يجعلنا نفكّر في الابن. لأنه بين الآب والابن لا يوجد فاصل في الكيان.

٥) ـ اللّه آب منذ الأزل:

وعندما ندعو اللّه «أباً» لأشياء كثيرة، فهذا إفراط. لأن اللّه ليسَ أباً، في الطبيعة والحقّ، إلاّ للإبن الواحد الوحيد ربنا يسوع المسيح، إنه لم يصبح أباً في الزمن، ولكنه منذ الأزل أب للابن الوحيد، هذا ليس معناه أنه كان بدون ابن أولاً، ثم أصبح أباً فيما بعد بتغيير في أفكاره ؛ ولكن كانت له الأبوّة قبل كل جوهر وكل كائن حسيٍّ، وقبل جميع الأزمنة والدهور. وهذا اللقب هو له أكثر الألقاب مَجداً. وأصبح أباً بدون أدنى تغيير وبدون اتحاد مع أي كائن آخر، وبدون جهل وبدون زيادة فيه أو نقصان أو تغيير. لأن: «كل عطية صالحة وهبة كاملة تنزل من عُلُ، من عند أبي الأنوار. وهو لا تَبدّل فيه ولا شبه تغيّر» (يعقوب ١٧:١). أب كامل ولد ابناً كاملاً وأعطاه كل شيء. كما يشهد هو نفسه: «قد أولاني أبي كل شيء» (متى ٢٧:١١). ويتمجّد الآب بواسطة الابن، الابن الوحيد، إذ يقول الابن: «إني أكْرِمُ أبي» (يو٨:٤٩). وفي موضع آخر: «كما حفظت وصايا أبي وأَسْتَقِرّ في محبّته» (يو١٥:١٠). فنحن أيضاً نقول مع الرسول: « تبارك إله ربنا يسوع المسيح وأبوه، أبو الحنان وإله كل تعزية» (٢كور١:٣) ؛ و «نجثو على ركبنا للآب، فمنه كل أبوّة في السماء والأرض» (أفسس ٣:١٤–١٥) ، ممجدين إيّاه مع الإبن ؛ لأن «من ينكر الإبن لم يحظَ بالآب، ومن عرف الابن حَظِيَ بالآب» (١يو٢:٢٣). مع العلم بأن «الرب يسوع المسيح هو لمجد اللّه الآب» (فيلبي ٢:١١).

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور
(١٨)

الأب: أنتوني م. كونياريس

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

وبربٍ واحدٍ يسوع المسيح

تناقشت مجموعة من الكتّاب الإنجليز عمَّا كانوا يفعلونه إذا ما دخل الحجرة فَجأة بعض أبطال التاريخ. ماذا كانوا يعملون لو ظهر أمامهم «شكسبير» أو «دانتي» ؟ ، وأخيراً سأل واحدٌ منهم: «ماذا كنّا نعمل لو ظهر أمامنا يسوع ؟».

أجاب واحدٌ من الجماعة وهو شارلس لامب Charles Lamb : « إذا دخل شكسبير هذه الحجرة، سوف أنهض لأقدِّم له التكريم، ولكن إذا دخَلَ يسوع، فسوفَ أسقط على الأرض وأسجد له».

ثمَّ وَضَّحَ شارلس لامب الفرق بين يسوع وبين رجال التاريخ العظماء. إن عَظَمَة الناس تدعونا لأن نقدّم تكريماً لهم ؛ أمَّا عَظَمَة يسوع فتدفعنا إلى الركوع سجوداً له.

أنّ الفقرة التالية من قانون الإيمان النيقاوي تتعلّق بموضوع يسوع: «وبرب واحد يسوع المسيح ، ابن اللّه الوحيد، المولود من الآب قبلَ كلِّ الدهور، نور من نور، إله حقّ من إله حقّ، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كلّ شيء».

قيلَ إن القانون النيقاوي يحتوي ١٠١ كلمة يونانيّة منها ٨٤ كلمة تتعلّق بالإبن. إنّ التأكيد السائد بشدَّة في القانون هو عن المسيح.

يقول القدّيس يوحنا الإنجيليّ باستمرار، إن المسيح هو الكلمة، وهذا التعبير ملائم تماماً. إن الإنسان إن لم ينطق كلمة فنحن لن نعرفه، إن الكلمات توَصِّل معنى، إنها تُمَكِّن الآخرين أن يعرفوا ما في فكرنا. وكما أن الكلمات تُعَبِّر عن أفكارنا الدّاخليّة، هكذا المسيح ـ كلمة اللّه ـ يُوَصِّل لنا أفكار اللّه. جاء المسيح على الأرض ليكون: «لغة» اللّه في المخاطبة مع الإنسان. أُعيدَ في المسيح مَرَّة ثانية الحوار والتخاطُب مع اللّه.

ربّ:

يمضي قانون الإيمان ليعلن لنا من هو يسوع. إنه يصفه أَنَّهُ ربّ ، نفس الكلمة التي استُخدِمَت على مدى العهد القديم عن اللّه. إنها الكلمة التي استخدمتها الكَنيسة الأولى في بكور نشأتها عن يسوع المُمَجَّد لتُعَبِّر في غير جدل أو جدال أنه الخالق المُطلَق ومالك ومَلِك الكون بأسره، هو السَيِّد ونحنُ العبيد، وكما ذُكِرَ من قَبلَ، فإنَ واحدة من عقائد الكنيسة هي أنَّ : «يسوع ربّ» (رو١٠:٩، ١كو١٢:٣ كولسي ٢:٦).

إن اختبار ما إذا كان يسوع هو ربّنا حقيقة، أو ما إذا كان هو مجرَّد تلاوة في قانون الإيمان، هو أن نحيا له، إذا كنا نأخذ أوامر قيادتنا وسيرنا منه. إنها **أعمالنا** وليست أقوالنا وتلاوتنا هي التي تتوجّه رَبَّـاً. وعلى سبيل المثال، كم يكون عدد الناس الذين يمكنهم أن يخمِّنوا أن يسوع هو ربّنا من مُجَرَّد نظرتهم إلينا ؟ يقول يسوع: «ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (مت٧:٢١). إنّ كثيرين من المسيحيين في هذه الأيام يقولون أنّ يسوع ربَّـاً لهم لمجَرَّد **٥٠ سنتاً أو دولارين** يضعونها أسبوعيّاً في صندوق الكنيسة. إنّه رب لسبب مُجَرَّد توفير ساعة واحدة له يوميّاً صباح كل أحد، هذا إن لم يكن الجو ممطراً أو مثلجاً. إنه يكون ربَّـاً طالما يدَعنا نعمل ما نُريد. إنّنا نعطيه الوقت، الوزنات، النقود التي تبقى لدينا بعد أن نهتم لا أن نُكَمِّل احتياجاتنا فقط بل أيضاً مسرَّاتنا، ثم بعد ذلك، ندعوه رَبَّـاً. إمَّـا أن يكون يسوع رَبَّـاً أم لا، وإن كان رَبَّـاً فإنه يستحق أن نكون له بالكليّة.

يسوع:

نأتي بعد كلمة «رب» إلى كلمة: «يسوع» هذا الاسم الذي أُمْلِيَ من السماء للطفل المولود في مذود بيت لحم. قال الملاك لمريم: «لا تخافي لأنّك وَجَدت نعمة عند اللّه، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنـاً وتسمّينه يسوع» (لو١:٣٠-٣١). إن يسوع هو الكلمة اليونانيّة للاسم «يشوع» الذي يعني: «اللّه مُخلِّص». كما يوجد توضيح أكثر لإسم يسوع في (مت١:٢١) «وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم».

هل يوجد اسم أثمن من يسوع؟ إن يسوع هو الاسم الذي عند ذكره تنحني كل الأشياء ؛ مَن في السماء ومَن على الأرض، ومَن تَحت الأرض.

اسم يسوع هو الذي يجلب الراحة للمُتعَبين، القوّة للضعفاء، الشجاعة للخائرين، الرجاء لليائسين، الغفران للخطاة، والحياة للموتى. إن يسوع هو الاسم الذي يفوق كل الاسماء ؛ الاسم الذي أصبح صلاة تُعبِّر عن وتُشبع احتياجات نفوسنا. الاسم الذي عند الدعاء به في الصلاة يبدأ ما هو مستحيل أن يصير ممكناً .

قال واحد ذات مرّة: إذا كنتَ تكتب قصيدة ولم تستطع أن تُخرجها صحيحة وتصرخ: «ساعدني يا وليم شكسبير» ، لن يحدث شيئاً. إذا شعرتَ بالقلق والخوف، قد تُفكِّر في بطل شجاع من أبطال الماضي وتقول: «يا نابليون ساعدني» ، لن يحدثَ شيئاً. ولكن إن بَلَغتَ آخر حَبْل في حياتك وصرخت بإيمان: «يا يسوع أعني» ، فإن ملايين قد اكتشفوا أن شيئاً ما قد حدث. توجد قوَّة حيث يكون ضعفٌ من قَبْل. توجَد رغبة في الحياة بعد أن كانت هناك رغبة في الموت.

قالت إمرأة بعد أن قرأت كلمات يسوع في الإنجيل: «عندما بدأتُ القراءة كنتُ أرغب في الموت، أمَّـا بعدما انتهيتُ فقد رغبتُ بالحياة». يسوع أعطاها الرجاء.

استدعى سكِّير طبيبه النفساني وقال له: «لقَد فقدتَ يا عزيزي مريضاً، إن يسوع أنقذني من الشُّرب، لقد صرتُ إنساناً جديداً». أجابه الطبيب: «هذا شيء جيّد، لعلّي أجد معونة حيث وَجدتَها أنت، أنا لستُ سكِّيراً ولكن لي احتياجاتي ومشاكلي الخاصّة».

«وتدعو اسمه يسوع لأنه يُخَلِّص شعبه من خطاياهم»

المسيح:

الاسم التالي الذي يستعمله قانون الإيمان ليسوع هو: «المسيح». إن كلمة المسيح يونانيّة الأصل وتعني: «الممسوح» ، وهي تُنسَب إلى العادة القديمة لمسح الشخص الذي يُكَرَّس لمركز عال، مثلما مسح صموئيل داود باسم الرب من قبل أن يصير ملكاً. إنّ كلمة «**المسيح**» اليونانيّة يقابلها في العبريّة كلمة «مَسيَّا» ، والتي تعني أيضاً كلمة الممسوح. من المهم أن نتذكَّر أن لقب المَسيح يعني أيضاً المسيا أو الممسوح، لأن هذا يعني أنه عندما ننطق بالكلمات: «يسوع المسيح»، فإننا نعترف بجوهر إيماننا كمسيحيِّين. وحيث إن: «يسوع» هو الاسم، و«المسيح» هو اللقب، فإننا عندما نضع الكلمتين معاً ونقول: «يسوع المسيح» ، فنحن نعترف بإيماننا أن يسوع هو المسيّا، الشخص الممسوح من اللّه ليُنقذ شعبه كما أعلَن القديس بطرس من قَبل: «أنتَ هو المسيح ابن اللّه الحيّ» (مت١٦ :١٦).

ذهبَ جندي يهودي كان يَحضَر الخدَمات المسيحيّة إبّـان الحرب العالميّة الثانية إلى رابِّي (معلِّم يهودي) وسأله عن الفرق بين مسيّا اليهود ويسوع المسيحيين، فشرح له الرابِّي: «الفرق أننا نحن اليهود نعتقد أن المسيّا سوف يأتي بعد، بينما يؤمن المسيحيون أنه قد جاء في شخص يسوع»، وعلى هذا سأل الجندي سؤالاً ليست له إجابة: «ولكن رابّي، متى جاء مسيانا، ماذا سيكون له مما لم يكن ليسوع؟ هل سيكون له حُبٌّ أكثر؟ أو صلاحٌ أكثر إيجابيّة ، أو قوّة معجزيّة أعظم؟ أو حياة أكثر نقاءً؟ أو غفران إلهي أكثر؟ أو استقامة حياة كاملة أكثر؟ ».

كان لليهود القدماء مثل هذا التبجيل والخوف والاحترام العظيم للّه حتى أنّهم لم يكونوا يريدوا أن ينطقوا اسمه. اللّه نفسه بدَّد هذا الخوف بأن أعطانا اسمه في كلمتين من أجمل الكلمات التي عرفها الجنس البشري: «**يسوع المسيح**»، كلمات تجعل حضور اللّه حقيقيّاً، وتُحضره في قلوبنا كل يوم.

يقول جيليس فلتشر Giles Fletcher كلماته الرائعة عن يسوع المسيح:

«هو الطريق لكل ضالّ،
هو الثوب لكل عار،
هو الخبز لكل جائع،
هو الحريّة لكل مأسور،
هو القوَّة لكل ضعيف،
هو الصِّحة لكل مريض،
هو الرؤية لكل أعمى،
هو الثروة لكل محتاج،
هو الحياة لكل ميّت،
هو يسوع المسيح».

الرسالة السادسة - عن الحلف [باسم الله] الشيخ الروحاني يوحنا الدالياتي (يوحنا سابا)

١) أيها الأب، أوص الأخوة بألا يحلفوا باسم اللّه بحماقة عند الكلام، وألا يذكروا اسمه البتة في أي نوع من الحلف. يكفي استعمال **نعم ولا**. كم هو عظيم هذا الشر الذي يجعلنا غرباء ومجهولين لدى اللّه ؟ «بل ليكن كلامكم: نَعم نَعم، لا لا. وما زاد على ذلك فهو من الشرّير» (مت٥ :٣٧) ملعون من يحلف باسم اللّه كذبًا «لا تَنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الربّ لا يبرىء مَن نَطَقَ باسمه باطلاً» (خر ٢٠ :٧)، فإنه لن يكون من خاصته، بل من أعدائه حقًا كما أظهره لي بنفسه وحثني على أن أعلمك. بالحقيقة، لصق لحمي بعظمي من التنهد. «من صوت تنهدي، لصق عظمي بلحمي» (مز١٠٢ :٦)، خلال هذه الرؤيا لأنه حدّد ما يأتي: «لن أعطي نعمتي إلى النفس التي لا ترتعد من اسمي المجد ولا حتى التي لا تحترمه، بل تستخدمه بتهاون».

٢) أما أنت يا محبًا لربه، **فاتَّقد** من أجل اسمه الذي يُجدف به عن جهل في فم الحمقى. **وبّخ واَخز** كل من يستخدمه أمامك. لا يكن هذا الأمر سخيفًا في عينيك ولا تنتقد هذه الأسطر. فالرب أظهر لنا هذا لنعلمك به. فكل مرة أتذكر الرؤيا، يتزعزع قلبي من توعده. حيّ هو الرب. طوبى لمن يسمع ويحفظ. طوبى أيضًا لمحب الحبيب الذي لم يُقبل مسمعه إلى سماع ذلك من فم الوقحين.

مباركٌ اللّه أبو ربّنا يسوع المسيح، أبو الرأفة وإله كل تعزيّة.

تعوّدتُ مُـرَّ الصبـر حتى أَلِفتـهُ ... وأسلمني حُسن العـزاء إلى الصبرِ
وصيّرني يأسي من الناس راجياً ... لحسن صنيع اللّه من حيثُ لا أدري

راعي الخراف العظيم ربّنا يسوع المسيح

العناية الإلهية

للقديس يوحنا الذهبي الفم

الفصل الثالث: اللاهوت غير مُدرَك، ليس فقط لنا، بل للقوّات السماوية أيضاً .

الفصل الرابع : موسى النبي قطع الفضول الخطير بكلمة (واحدة) في بدء الكتاب المقدس .

الفصل الثالث

اللاهوت غير مُدرَك، ليس فقط لنا، بل وللقوات السماويّة أيضاً.

١ ـ عندما تسمع (حرفيّاً ترى) عن السيرافيم أنهم يطيرون حول العرش في سموّه ورفعَته، يغطّون وجوههم بجناحين ويسترون أرجلهم باثنين ، ويَصيحون بصوت مملوءٍ رعدة، لا تظن أنّ لهم ريشاً وأرجلاً وأجنحة.

٢ ـ لأنّ هذه القوّات غير مرئيّة، لكنه بفضل هذه التشبيهات تفكّر في أن من هو جالس على العرش غير مُدرَك ولا يمكن الدنوّ منه.

حقّاً إن اللّه حتى بالنسبة لهذه الطغمات غير مُدرَك ولا يقدرون على الدنوّ منه. لهذا فهو يتنازل ليظهر بالطريقة التي وردت في الرؤيا، إذ أنّ اللّه لا يحدّه مكان ولا يجلس على عرش.

٣ ـ إنما جلوسه على العرش وإحاطته بالقوّات السمائية. هي علامات من قبيل تنازله، وليس مجرّد كونه جالساً. فهذه القوات لم تستطع رؤيته ولا حتى احتملت التطلع إلى بهاء نوره، فغطّت أعينها بأجنحتها، ولم يَعُدْ لها إلا أن تسبّح وترنّم بتسابيح مملوءة مجداً ورعدة مقدّسة، وبتراتيل عجيبة تشهد لقداسة ذلك الجالس على العرش.

٤ ـ ألا تختبىء تحت الآكام يا مَن بمثل هذه الجسارة تريد أن **تفحص عناية إله قوّته لا توصَف ولا يُعَبَّر عنها وغير مُدرَكة** للقوات السماوية ؟

٥ ـ لأن كل ما يختص به (أي بالآب) معروفٌ وبتحديد (قاطع) فقط للابن وللروح القدس، وليس لأيّ أحد سواهما. وقد سَعَى يوحنا الإنجيلي إلى إفهامنا الحقيقة الأولى، وبولس الحقيقة الثانية.

إنّ ابن الرعد (يوحنا الإنجيلي) الذي أحبّه الربّ جداً، والذي دَلَّ لقبه على سموّ فضيلته، والذي تمتّع بالإتكاء على صدر الربّ يقول: «اللّه لم يرَه أحدٌ قَطّ»(يو١:١٨)، والرؤية هنا تعني المعرفة.

٦ ـ «الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبّر» (يو١:١٨).
والمسيح نفسه شرح هذا سابقاً في موضع آخَرَ عندما تحادث مع اليهود فقال: «ليسَ أنّ أحد رأى الآب إلا الذي من اللّه. هذا قد رأى الآب» (يو٦:٤٦).

٧ ـ وعندما أراد الإناء المختار (بولس) أن يتحدث عن مقاصد اللّه ويُشير إلى الأسرار كما عَرفها قال: «نتكلّم بحكمة اللّه في سرّ، الحكمة المكتومة التي سبَقَ اللّه فعيّنها قبل الدهور لمجدنا، التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر. لأنّهم لو عرفوا لما صلبوا ربّ المجد بل كما هو مكتوب ما لم تَر عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه اللّه للذين يحبّونه» (١كو ٢ :٧-٩) .

٨ ـ إذاً كيف عرفنا حكمة اللّه يا بولس ومَن كشفها لنا ؟ ومن أوضح لنا الأمور التي لم تَرها عين ولم تسمع بها أذن، ولم تخطر على بال إنسان ؟

٩ ـ أخبرنا، من هو الذي وَهَبَ لنا هذه المعرفة العجيبة ؟

فيجيب بولس: «أعلنه اللّه لنا بروحه» (١كو١٢:١٠).

ولئلا يظن أحد أن الروح القدس يعرف فقط ما يكشفه اللّه لنا بواسطة ملائكته، وأنه لا يملك قوّة المعرفة، أضافَ بولس قوله: «لأنّ الروح يفحص كلّ شيء حتى أعماق اللّه. لأن مَنْ منَ الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه ؟! هكذا أيضاً أمور اللّه لا يعرفها (أحد) إلا روح اللّه» (١كو٢:١-١١). هذه الكلمات تعني أنه يعرف روح الإنسان ما يخصّه بدقّة، هكذا يعرف روح اللّه المعرفة الإلهيّة الكاملة بدقّة لا يُعَبَّر عنها.

١٠ ـ بقوله أن أمور اللّه لا يعرفها إلا روح اللّه،استبعد عن هذه المعرفة الدقيقة ليس فقط البشر، بل أيضاً كل المخلوقات السماوية.
من أين هذه النصائح الحكيمة: «لا تطلب ما يُعييك نيله، ولا تبحث عما يتجاوز قدرتك، لكن ما أمرك اللّه به، فيه تتأمّل ولا تَرغب في استقصاء أعماله التي تتجاوز عقلك البشري» (بن سيراخ ٣:٢٢ بحسب النص).

١١ ـ هذا القول يعني أنه يليق بك ألا تنسب معرفتك لذاتك، فلن تكفيك الطبيعة لمعرفة الأشياء، إنما أنت أخذت من فوق معرفة أكثر الأمور (التي عرفتها)، إذ هي تفوق إدراكك.

لماذا تحاول استقصاء الأمور العميقة بقوّتك الذّاتيّة، مع أن أغلبها يفوق قوّة تفكيرك التي وهبها اللّه لك ؟

١٢ ـ آلعلَّ بولس كان يحاول الإشارة إليك حين قال: «أي شيء (لك) لم تأخذه ؟ وإن كنت قد أخذت فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ ؟!» (١كو٤:٧).

إذاً لتهرب من حبّ الجدال واقبَل هذه النصيحة المملوءة حكمة: «لا تَقُل ما هذا ؟ ولماذا حدثَ هذا ؟ لأن كل الأشياء قد خُلِقَت لاحتياجاتها» (بن سيراخ ٣٩:٢١) .

الفصل الرابع

موسى النبي قطع الفضول الخطير بكلمة (واحدة) في بدء الكتاب المقدس.

١ ـ لهذا السبب عندما أكمَلَ الخليقة كلها وزيّنها بالجمال، فمع أنَّ هذا العمل المتناسق غير العادي يُصيب مَن يراه بذهول عظيم، سَبَقَ اللّه فوجد أن كثيرٌ من الحمقى والمخبولين قد أعدّوا أنفسهم لمهاجمة الأشياء المخلوقة، لذلك دحض رأيهم الوَقح بكلمة واحدة فقال: «ورأى اللّه كل ما عمله وإذا هو **حسنٌ جداً**» (تك١: ٣١).

٢ ـ في الواقع بين الأشياء التي رآها اللّه (حسنة) ليس فقط النّور بل الظلمة (أيضاً)، وليسَ فقط الثمار بل الأشواك، ليس فقط الأشجار المزروعة بل الأشجار البريّة. ليس فقط السهول المنبسطة بل الجبال والوديان والشّقوق، ليس فقط البَشَر بل أيضاً الحيّات السّامة، ليسَ فقط الأسماك بل أيضاً الحيتان البحريّة، ليس فقط الأمواج الهادئة، بل أيضاً البحر الذي يرفض كل ملاحة فيه (عندما يهيج).

٣ ـ ليس فقط الشمس والقمر والنجوم، بل أيضاً الرعد والبرق والأعاصير، ليس فقط الهواء العليل بل أيضاً الزوابع. ليس فقط الحمام والطيور المغرّدة، بل أيضاً النسور والصقور والحيوانات الأخرى التي تفترس البَشَر، ليس فقط الغنم والبقَر بل الذئاب والفهود والأسود، ليس فقط الأيائل والأرانب البرية والغزلان، بل أيضاً العقارب والحيّات، وبين الأعشاب ليس فقط النباتات التي تجلب الشفاء، بل أيضاً النباتات السّامة، وكثيرٌ من هذه الخلائق صارت معثرة وجلبت هرطقات.

٤ ـ أما موسى فقد أعلن أنه لما جاءت الخليقة إلى الوجود وتزَيّنت بكل زينتها، مجَّدها اللّه (بمعنى استحسنها). أقصد أنه مجَّدَ كل شيء منها على حدة، كما مجَّدَ الخليقة في مجموعها. بهذا لا يَجسر أحد ـ **مهما كان تهوّره** ـ أن يفكّر في فحص باقي الأشياء المرئيّة.

٥ ـ لهذا السبب بعد أن قال: «ليكن نور» أضافَ قوله: «ورأى اللّه أن النّور حسن» (تك١: ٤). بعد ذلك ولكي لا يُطيل حديثه بتسمية كل الأشياء باسمها، عبَّرَ بكلمة واحدة عن استحسانه للكل معاً ، فكرّر القول: «ورأى اللّه كل ما عمله فإذا هو حسنٌ جداً» (تك١: ٣١).

٦ ـ هذا لا يعني أن اللّه اكتشف جمالها بعد خلقَتها. كلا !

لأنه إن كان الفنان ـ وهو إنسان ـ يستطيع أن يُدرك جمال عمل يديه قبل تنفيذه، فكم بالحريّ (اللّه) الحكمة الفائقة الذي بعث الحياة في الكُلّ بإرادته وحده، عَرَفَ روعة خليقته قبلما يخلقها.

❊ يروى عن الفنان الإيطالي الشهير مايكل أنجلو أنّه عندما مَرَّ على قطعة من رخام خام ـ كانت محلّ استقباح النّاس لمنظرها المشوّه ـ هتف عندما رآها لأوّل مرّة لجمالها! فاندهش النّاس وظنّوه مخبولاً، ولكن روعة التمثال الذي صنعه للملاك منها، أزالت دهشة النّاس !❊

القديس يوحنا الذهبيّ الفم

٧ ـ وما كان قد جاء بها إلى الوجود لو لم يكن قد سبَقَ فعرَفها. فلماذا إذاً هذه الكلمات ؟ للسبب الذي ذكرته (من قَبل).

وأيضاً بعد أن سمعت النبي (موسى) يقول لك، إنّ اللّه رأى كل شيء (حسن) ومدَحَهُ، فلا تسعى لحجر مَحَكٍّ آخر، ولا لبرهان آخر (يدل) على عظمتها، ولاتَقُل ما الحَسن الذي فيها ؟

في الواقع إن إعلان حُكم خالقها ورأيه بحسنها لهو دليلٌ مقنع أكثر من البرهان (على حسنها) المأخوذ من الأعمال ذاتها.

٨ ـ لأجل هذا استخدم (موسى) طريقة كلام قاطعة (حرفيّاً أوليّة) بما فيه الكفاية. في الواقع لو أراد شخص أن يشتري أدوية دون أن يعرفها، فهو يطلب أولاً أن يراها الطبيب، وعندما يرى أنّ الطبيب قد استحسنها بعد أن عاينها، فإنّه لا يعود يطلب دليلٌ آخَرَ على فاعليّتها. بل إذ عَلِمَ أن الطبيب قد تعرّف عليها واستحسنها فإنه يكتفي برأيه.

٩ ـ كذلك موسى إذ أرادَ بترَ كُلّ **فضول وَقِح** من جانب الذين فيما بعد سيسخرون من الخلقة فأعلَنَ وقالَ: «أنّ كل الأشياء (التي خلقها) واستحسنها ووصفها بأنها حَسَنَةٌ وليسَ فقط "حسَنَةٌ"، بل وأيضاً "حَسَنَةٌ جداً"».

١٠ ـ إذاً لا تحاول البحث في أمور الخليقة باندفاع، فإنّ لديكَ شهادة عالية تعلن امتيازها (على كل شهادة أخرى). فإن لم تَكتَف بهذه الشهادة باحثاً في الخليقة بأفكار متضاربة وسطَ جو عاصفَ لن تتقدّم في شيء، إنما تهيّء لنفسكَ فشلاً ذريعاً. لأنّك ليس فقط لن تستطيع أن تجد تفاسير لكل الأشياء المخلوقة، بل وأيضاً ما قد تستحسنه من الخليقة الآن قد ترذله غداً، وذلك بسبب **عقم** تفكيرك.

١١ ـ في الواقع إن فكر البَشر ضعيفٌ، وفي أغلب الأحيان ينجذب نحو اتجاهات متضاربة، وتتعارض وجهات كثيرٌ من الناس تجاه الخليقة الآن، فاليونانيون بسبب شدّة إعجابهم غير اللائق بها صَيَّروها آلهة.

١٢ ـ وعلى العكس فبين أتباع ماني وهراطقة آخرين، البعض يقول أنها ليست من صُنع إله محب، والبعض الآخربعد أن اقتطع منها جزءٌ نسبوا للمادّة أنها تتولّد من نفسها، وقرّروا أنها لا تستحق أن تكون من عمل إله خَلاّق. لذلك بادرتُ بالقول أنه عند استخدام المنطق والتفكير السّقيم، سَنَذمّ أشياء كثيرة مَن بينها أشياء مؤكّدٌ حُسنُها.

١٣ ـ أي شيء في رأيك أكثر جمالاً من الشمس؟ ومع هذا فذلك الكوكب المضيء والجميل يؤذي عين المَرضَى ويكلّس الأرض

بإرسال أشعَّته الحارقة، ويسبّب الحمى للبعض، وكثيراً ما يُيَبِّس المحصول ويجعله عديم النفع، ويجعل الأشجار عقيمة (وذلك عندما تأتي الريح اللافحة وقت التزّهير، فتسقط زهور شجر الزيّتون وغيرها من الأشجار)، ويحول جزءاً من الأرض إلى منطقةٍ لا نستطيع الإقامة فيها.

١٤ ـ قُل لي، هل **نَذُمّ** الشمس بسبب هذا؟ **لا**، بل إذ نَدَع جانباً التعليلات والإزعاج الذي تولّده، فإنّنا نلتصق إلى الصخرة التي هي الكلمة القائلة: «ورأى اللّه كل ما عمله فإذا هو حسنٌ جداً» (تك١:٣١) . إذاً فكل ما سَبَقَ أن أعددته هو حسنٌ جداً ومفيد. وكما سَبَقَ أن أكّدتُ، فإنه ينبغي الرجوع بدون توقّف إلى هذه الكلمة القائلة:«ورأى اللّه كل ما عمله فإذا هو حسنٌ جداً» (تك١:٣١).

١٥ ـ لكن هل الإنهماك في الاستكانة (الاستكانة هي الخضوع والذُّل) والضحك وحياة الملذّات هو شيءٌ حسَن ؟ **بالتأكيد لا.** إسمع سليمان الملك ـ وهو الذي اختبر حياة الفسق ـ يقول:«الذهاب إلى بيت النوح خيرٌ من الذهاب إلى بيت الوليمة» (جامعة ٧:٢)، وهل ينبغي أن نقول أن الليل رديء باستخدامنا لمنطق معارضينا (يقصد المانيين)؟ .

١٦ ـ نعم، لكنه أيضاً مُسكّنٌ للبلايا، ومُبعدٌ للهموم، ومُخَفِّفٌ للأمراض، وهو هدنة من الأخطار والمخاوف. إنه يُنعش الجسد، ويعيد القوّة للذهن ويُريح الجسَد المُتعَب.

وهل المرض شرّ ؟

نعم، لكن لأي سبب (غَيرَهُ) تكلّل لعازر المسكين ؟

وهل الفقر شرّ ؟

إذاً لأي سبب (آخَرَ) صار أيّوب مشهوراً؟ أليس لكون البلايا كانت تلاحق بعضَها البعض بلا توقّف ؟

١٧ ـ وأيضاً لأي سبب قد انتشرت أسماء الرُسل؟ وما هو الطريق الذي يؤدّي إلى الحياة؟ أليس هو الطريق الضَيِّق والكَرب ؟ فلا تَقُل: لماذا هذا ؟ وما الهدف من ذاك ؟ لكن عندما يختص الأمر بتدابير اللّه وأعماله، ينبغي كما أن الخزف يلزم الصمت أمام الخزّاف، هكذا أنتَ أيضاً احفظ الصمت أمام اللّه الذي خلَقَكَ.

كلمة كنيسة

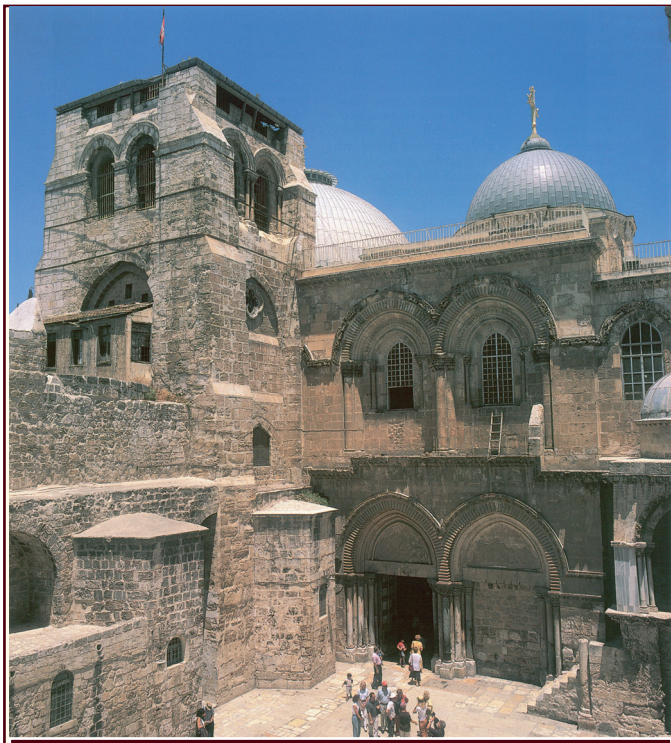

كنيسة القيامة ، التي بُنيَت فوق القبر المقدس معطي الحياة

كلمة كنيسة عبرانية الأصل مأخوذة من كلمة كنيس ومعناها مجمع أو محفل، والبعض يقول إنها مأخوذة من الكلمة اليونانيّة إكليسيّا ومعناها مكان الدعوة ، وهي مشتقة من كلمة اكالو أي أدعو، وكان اليونان يطلقون هذه الكلمة على محافلهم المقدّسة أو ندواتهم وأماكن اجتماعاتهم للقضاء أو التشاور كما ورد في (أع ١٩:٤١) وأصبح مدلول هذه الكلمة من بعد، على الكنيسة المسيحيّة بمعانيها المختلفة.

أسماء الكنيسة:

وللكنيسة جملة أسماء فتسمَى بيت اللّه. لأنه إن جازَ ليعقوب أن يسمي المكان الذي ظهر له اللّه فيه مرّة واحدة بيت إيل أي بيت اللّه. فالأولى يكون المكان الذي يظهر فيه مجده تعالى باستمرار، وتسمَى بيت الصلاة، وفي ذلك قال الربّ يسوع المسيح: «بيتي بيت الصلاة يدعى لجميع الأمم».

وتسمّى أيضاً بيت الشهداء إذ تُقام فيها احتفالات للشهداء، إذ كانت العادة أن تُبنَى الكنائس فوق عظامهم أو في أماكن إستشهادهم.

وتسمَى بيت الجماعة إذ يجتمع فيها اللّه مع الناس. قال صاحب الرؤيا: «أنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند اللّه مهيّأة كعروس مزيّنة لرَجُلها. وسمعتُ صوتاً عظيماً من العرش قائلاً: هوذا مسكن اللّه مع الناس» (رؤ ٢١:٢).كما أنها تسمَى الهيكل. وتدعى مدينة اللّه. وفُندقَ الحياة. وبرج الخلاص. والقرية المثبّتة. وميناء النجاة. ومنارة القدس وغير ذلك كثير.

وتسمى الكنيسة في اللغة العربية بيعة. ولعل هذه الكلمة من المبايعة والانتخاب لذوي الرتب الكهنوتية حيث يتم ذلك فيها.ولعلّ كلمة بيعة من البيع لأن السيد المسيح قد ابتاعنا لنفسه «قد اشتريتم بثمن، فلا تصيروا عبيداً للناس».

ها أنا واقفٌ عند الباب أقرع... فإن سمعتهم صوته، فلاتقسّوا قلوبكم .

بادِرْ إلى التَّوبَةِ الخلصاءِ مجتهداً ... والموتُ وَيْحَكَ لم يمددْ إليكَ يدا

وَارْقُبْ مِنَ اللّهِ وَعداً ليسَ مُخْلِفُهُ ... لا بُدَّ للّهِ من إنجازِ ما وَعَدا

الخلصاء: الخالصة والنصوح. مخلفه: يؤجّله وينقضه.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٦٠)

الفصل السادس:

ب- مملكة داود ـ (١٠١٠-٩٧٠ ق.م.)

(١صم١٦-٣١ ؛ ١مل١-١١ ؛ ٢أخ١١-٢٩)

داود وتابوت الربّ (٢صم٦):

بعد أن عاد التابوت من عند الفلسطينيين سارت به العجلة إلى كريات يعاريم (قرية أبو غوش) وتبعد ١٠ أميال (١٦كم) غربي أورشليم (٢أخ١:٤)، وظلّ بها عشرين سنة تحت رعاية إبيناداب وكان يخدمه إبناه عزة وأخيو في الأكمة التي تبعد نحو ١٧كم عن أورشليم ، وازدهرت أورشليم بعد أن صارت العاصمة الجديدة، فقرّر داود نقل التابوت إليها وإصطحب معه ثلاثين ألف رجل من الجيش، لكنه سلك على طريقة الفلسطينيين في نَقْله، فوضعه فوق عَجَلَة جديدة تجرّها الثيران، وهي طريقة لم تكن حَسَب إرادة اللّه ، إذ لا يجوز حمل التابوت إلاّ بالعَصَى على أكتاف الكهنة واللاويين كما أمر اللّه موسى (عد٣:٢٩ ٤:١٥) ، وكان من نتيجة تغافل عزة أن الربّ حمى غضبه عليه وضربه فمات.

وفي تلك الحادثة ثلاث معانٍ هامّة من تلك النتيجة السيّئة المحزنة بعد يوم إتسم بالأفراح في نقل التابوت وهي:

أولاً: معنى خاص بداود إذ تغافَلَ عن الطقس المرسوم في نقل التابوت وهو ترتيب إلهي يحمله الآباء إلى الأبناء من خلال التسليم جيل بعد جيل.

ثانياً: معنى خاص بالشعب وهو أن اللّه لا يُعامَل مثل ما يُعامَل به أصنام الأمم لأنه قدّوس وحيّ وسط شعبه وغيور على إسمه.

ثالثاً: ما هو خاص بـ عزّة نفسه ، لأنه في جسارة إقترب وتجرأ على لمس التابوت بدون حرص أو حَذَر.

وعلى الجانب الآخر نجد أن الرب باركَ بيت عوبيد أدوم ا جَتي ، وكل ماله ؛ وترك داود التابوت وظلّ هناك ثلاثة أشهر، وبعدها عاد داود لينقل التابوت، وفي هذه المرّة حمله الكهنة واللاويين إلى أورشليم مدينة داود ليستقرّ في مكانه في وسط الخيمة التي نصبها داود، وكان أبيثار الكاهن يخدم فيها ، وفي جبعون كانت هناك خيمة أخرى يخدم فيها صادوق الكاهن، ومنذ ذلك الوقت صارت أورشليم العاصمة السياسيّة ومركز العبادة والحياة المدنيّة.

أشواق داود وهيكل الرب:

كانت فينيقية الجار المتاخم لمملكة داود واحتفظت باستقلالها. وعقد داود معاهدة مع ملكها حيرام (٩٧٩-٩٤٥ق.م.) وكانت صور الميناء الفينيقي الشهير تنعم بالرفاهية والإزدهار بسبب تجارتها الواسعة عبر البحر المتوسط، وخاصّة بسبب تقدّمها في كافة الفنون والحِرَف، وعاشت عصراً ذهبيّاً في إتساعها السياسي ورفاهيتها التجارية، وبنى داود لنفسه قصراً فخماً، وحينما إراد أن يبني هيكلاً للربّ حيث قال في نفسه ليس جيّداً أن أسكن في قصر، وتابوت الربّ يسكن في خيمة ، وأعلن نيّته لناثان النبي، ورتّب كلّ ما يلزم لبناء بيت الربّ ، ورَسم خطّة البناء، وبالرغم من عظمة داود، لكنه لم يكن هو الرجل الذي يبني بيتاً للرب، فقد كان الأمرُ محفوظاً لسليمان إبنه، لأن عهده كان عهد سلام لا حرب ، لكن اللّه يعوّض داود عن إشتياقاته وآماله بأن يُثَبِّت كُرسيَّه ولا ينزع مراحمه عنه فيقيم بيتاً لداود وأسرة تدوم إلى الأبد (٢صم٧:١٦) ، وهو الوعد الذي إستمرّ طيلة العهد القديم ليتحقّق بمجيء المسيح الذي يولَد في بيت لحم مدينة داود ويأتي من نسل داود «إذ أقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه» (لو٢:٦٩)، «ويعطيه الربّ الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه إنقضاء» (لو١:٣٢-٣٣).

النموّ والرفاهيّة في المملكة:

أتمّ اللّه وعده لإبراهيم في إمبراطوريّة داود في أقصى إتساعها وأَجَلَّ هيبتها ، وفي أعقاب الإنتصارات العظيمة التي حقّقها داود على أعدائه تدفّقت الغنائم إلى أورشليم، ولكن مع إتساع مملكته كان عليه أن يزيد من مواردها وينظّم شؤونها. فمن الناحية الداخليّة جعل حكاماً للبلاد فأمكنه أن يُحْكِم قبضته على المُلك الواسع، ومن الناحية الخارجيّة تمكّن بفضل جَيشه المنظّم والمُدَرّب وقائده القوي أن يُنزل الهزائم بأعداء إسرائيل.

ومع أن داود كانَ عظيماً لكنه لم يكن أعظم من التجربة، فسَقَط فيها وقت أن هبَّت عليه عواصفها، ومع أنه كان قد جاوزَ الخمسين من عمره، فإنّه لم يَقوَ عليها وسَقَطَ مع بتشبع زوجة أوريّا الحثي أحد ضباط جيشه الأوفياء، ثم دفع به في الصفوف الأولى فمات، لقد كانت الحرب دائرة والجيش يقاوم نيرانها مع العمونيين حلفاء السوريين، وكان داود يتمشّى على سطح قصره الفخم الذي بناه من خشب أرز لبنان، لقد كان في حالة تراخٍ وتهاون ، وداود صاحب المزامير والقامة الروحيّة الشامخة، أصبحت حياته الروحيّة مترهّلة، فقد مهّدت حياته الناعمة في القصر الأرزي لتلك السَقطة الشنعاء، فداود أَكْثَرَ من النساء والسراري، إذ تزوّج من أخينوعم، وأبيجايل وهو في البريّة، ثم تزوّج خمس نساء وهو في حبرون، وعاد وأخذ نساء أُخريات وهو في أورشليم (٢صم٥ : ١٣)، وأضاف إلى زوجاته ١٦ سريّة، وهو ماسَبَقَ أن حَذَّر صموئيل منه الشعب عن تصرفات الملوك (٢صم٨:١١-١٦).

ومع أن داود إنتبه بصوت ناثان النبي ، والمزمور السادس والمزمور الخمسين هما التعبير الواضح عن توبته بدموع مرّة وندامة شديدة ومع أن اللّه غفر ذنبه، ولكن تبقى نتيجة الجَريمة تطلب حقّها. فمنذ ذلك اليوم وانقلبت حياة داود الهانئة إلى قلق وأحزان وتَلَبّد جوّ بيته بغيوم وسُحب قاتمة.

نصيحة الى الشباب

من الرسائل الرائعة للقديس باسيليوس الكبير

سنتناول في هذه المحاضرة إحدى رسائل القديس باسيليوس وهي بعنوان: «نصيحة إلى الشباب كيف يمكن أن يستفيدوا من مؤلفات الكتّاب الوثنيين» هذه الرسالة هي نقاش مميز يمكن اعتباره عظةً روحية للشباب.

أولاً ـ توجيه الرسالة:

وجهة النظر الأولى ترى أن القديس باسيليوس يوجه هذه الرسالة إلى شباب من عائلته، وكما يبدو فإن علاقته بهم كانت قوية إلى درجة يقول فيها أنهم لن يحزنوا على فراق والديهم عندما يحضرون إليه. يقول:«بحسب الرابطة الطبيعية أنا أقف مع والديكم في القرابة نفسها بالنسبة إليكم، لذا فأنا لست أنقصهم ولا بمقدار ذرة من جهة اهتمامي بكم، في الواقع إن لم أكن مخطئاً في فهم مشاعركم فإنكم لا تتوقون بعد إلى والديكم حين تأتون إليَّ ».

أمّا وجهة النظر الثانية فإنها ترى أنهم شباب ربما تركوا والديهم وأتوا إما ليترهبوا أو ليكونوا طلاباً عند القديس باسيليوس، لأنه يتكلم عنهم وكأنهم يباشرون طريقاً جديدة إذ يقول:«في زمن حياتي، التجارب المتعددة وخبرتي الكافية في تقلّب الحياة التي تُعلِّم دروسُها في كل انقلاب، جَعلَتْ منّي خبيراً في أمور البشر، لذلك فإنّي قادرٌ أن أُرشدَ إلى السبيل الصحيح أولئك الذين بدأوا للتوّ سيرتهم ».

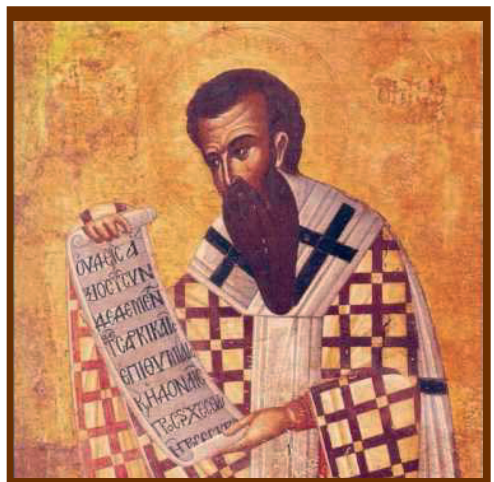
القديس باسيليوس الكبير

وفي مكان آخر يقول: «إنهم يرتادون المدارس كل يوم». مهما يكن فإنّ القديس يوجّه رسالته إلى شبان تشدُّه إليهم علاقة قويّة، وهم في مطلع عمرهم وليسوا على درجة كبيرة من البلوغ، لأنّه يقول لهم إنَّ تفسير بعض الأمور «يحتاج إلى مستمعين بالغين أكثر منكم ».

ثانياً ـ سبب توجيه الرسالة :

يقول القديس في مطلع رسالته، أنَّ الأسباب التي دفعته إلى كتابة هذه الرسالة كثيرة ولكن هدفه تقديم النصيحة كونه يريد تقديم الخبرة التي امتلكها خلال عمره. إنَّه يريد أن يقدم لهم خبرته في الحياة وكل ما حصل عليه وكل ما حصَّله من دروس الحياة. نرى في بدايات الرسالة أنَّ القديس يريد أن يقدم شيئاً من خبرته الغنية وهو ما يراه يفوق خبرة الكُتّاب الوثنيين ومعارفهم. لذا فهو يُحذّر الشباب من الانقياد للتعاليم والمعرفة الوثنية، لذلك فهو يقول: «لا تتعجبوا أنتم الذين ترتادون المدارس يومياً وتدرسون أقوال المشاهير من العلماء القدماء إذا ما قلت لكم إنني بخبرتي وجدت الكثير من الأمور التي تنفع أكثر ممّا لديهم».

لهذا يقدم القديس نصيحته التي تقول:«لا يجب أن تسلّموا قيادة عقولكم بشكل مطلق لهؤلاء الرجال، كما تُسلم السفينة للربان، لتتبعوهم حيثما ينحرفون، بل عندما تتلقون ما يقدمونه مهما كانت قيمته فعليكم أن تميزوا ماذا، من الحكمة، أن ترفضوه».

ومن هذه النقطة ينطلق القديس في نقاشه حول كتابات الوثنيين وكيف يجب أن نميّزها.

ثالثاً ـ المواضيع التي تناقشها الرسالة:

١) الحياة الأفضل:

يؤكّد القديس على أنَّه **لا يجب علينا** نحن المسيحيين أنْ نعتقد أنَّ هذه الحياة التي تمضي وتنتهي بكل ما فيها من مجد وكرامات وقوة وجمال وعَظَمة هي الحياة المُشتهاة أو أنَّها الحياة الأفضل. لكن علينا أن نحب هذه الحياة، وعلينا أن نعمل لنَتَطَوّر في سبيل الوصول إلى الحياة الأبديّة. لهذا السبب فإنَّه من المفروض أن نميّز بين ما يوجد في هذه الحياة ويُخوِّلُنا الدخول إلى الحياة الأبدية إذا اهتممنا به، وبين ما يوجد في هذه الحياة وهو لا يفيدنا في مسيرتنا نحو الملكوت، فمثل هذا هو عديم القيمة والنفع وما علينا سوى تجاهله.«نحن المسيحيين نعتقد أن هذه الحياة هي الشيء الثمين والأهم، ولا نعتبر أيَّ شيء ينفعنا في هذه الحياة فقط شيئاً مباركاً بالمطلق، ولا نتباهى بالأسلاف ولا بالقوة الجسدية ولا بالجمال ولا بالعظمة». يقول القديس:« إنّي أؤكد أنه يجب أن نحب هذه الحياة، وأن نسعى بكل طاقتنا للمشاركة في اقتناء الأمور التي تكمّلنا لهذه الحياة الأبدية، وأمّا الأمور التي لا تحركنا نحو الحياة الأبدية فما علينا إلاّ أن نتجاهلها ونعتبرها بلا قيمة».

الحياة الأفضل، أي الحياة الأبديّة هي هدفنا في هذه الحياة لأنّنا سنتذوّق فيها السعادة التي تفوق مجموع السعادة والفرح اللذين يُمكن للمرء أن يختبرهما هنا في هذه الحياة. إذاً بحسب القديس، نحن لا نحتقر الحياة الأرضية أو الحياة التي نعيشها الآن بل نُكرِّمها ونحترمها لأنّنا حين نجتازها بما يوافق الإنجيل فإنّنا نعبر منها إلى حياة أبدية. وهنا يُشبِّه القديس الفارق بين الحياة الحاضرة والأخرى بقوله:«كما أنَّ النفس لها كرامة أكثر من الجسد هكذا الفارق بين الحياة الحاضرة والحياة الآتية ».

لا يتكلم القديس عن ماهيّة الحياة الأبدية، لأنَّ الأمر بحسب قوله يتطلب مستمعين أكثر بلوغاً كما يحتاج الأمر إلى جهد كبير. الأمر الوحيد الذي يذكره القديس حول الحياة الأبدية هو المدخل إليها. إنها الكتب المقدسة إذ يقول:«الكتب المقدسة تقودنا إلى الحياة الأبدية وهي تعلمنا من خلال الكلمات الإلهية».

٢) التعاليم الدنيوية والتعاليم الإلهية:

ما هي العلاقة بين هذين التعليمين؟ هل يمكننا الاستفادة من العلوم الدنيوية ونحن نملك الإنجيل وهو التعليم الإلهي؟ هل علينا كمسيحيين أن نقاطع العلوم والمعرفة الدنيوية؟ هذه ولا شك أسئلة تبدأ لكي تنتهي بسؤال هو: هل يتعارض العلم مع الدين؟ عندما يتكلم القديس عن أهمية الأسفار المقدسة في إرشادنا إلى الحياة الأبدية يتطرق إلى موضوع أهمية الاطلاع على الكتب والأدب الوثني. فما هو السبب ؟

إنَّ عدم نضجنا يمنع علينا فهم الأسفار المقدسة الأمر الذي يحتاج إلى تدريب، هذا التدريب نمارسه على الكتابات الوثنية. يقول القديس:«علينا أن ندرب بصيرتنا الروحية على الكتابات الدنيوية التي ليست مختلفة جملة وفيها ندرك الحقيقة إذا جاز التعبير كما في ظل أو مرآة».

يُشبِّه القديس هذا التدريب بالتدريبات العسكرية نفسها، فالجندي الذي يتدرب على الحياة العسكرية يُتقن الجمباز والرقص وهو في الوقت نفسه يحصل على جائزة النصر في المعركة. فإذا كان هذا حال المحارب في المعارك فكم بالأحرى يجب علينا نحن المسيحيين المدعوين إلى خوض أكبر معركة على الإطلاق أن نتدرب وان نتحضر لها لكي نكتسب القوة. علينا أن نحتمل وأن نكابد وان نتمم الكثير من الأعمال في سبيل اكتساب القوة. هنا ينصح القديسُ الشابَ المسيحيّ أن يكون ملمّاً بالشعراء والمؤرخين والخطباء، لأنّه إذا حقق إلماماً كهذا فإنه أمام أمرين لا ثالث لهما وهما: فإما أن يبدأ باكتساب المعرفة الدنيوية ومع مرور الوقت ينتقل إلى مرحلة يصرف فيها اهتماماً خاصاً بالتعاليم المقدسة الإلهية على فرض وجود صلة بين هذين النوعين من التعليم، أو أنه على فرض عدم وجود صلة بين نوعي التعليم هذين يتمكن من مقارنة الفارق بينهما ليصبح قادراً على تقوية احترامه وتقديره للتعليم الأفضل وهو التعليم المقدس. يقول:« إن كان ثمة صلة بين هذين الأدبين فمعرفتنا لهما تكون نافعة لنا في بحثنا عن الحقيقة، وإذا لم يكن ذلك فالمقارنة بالتشديد على الفوارق سوف لن تكون خدمة صغيرة في تقوية إجلالنا للأدب الأفضل ».

ما هي العلاقة بين التعليم الدنيوي والتعليم الإنجيلي؟ يُشبِّه القديس العلاقة أو الفارق بين هذين التعليمين بحالة الشجرة المثمرة: إنَّ الوظيفة الأساسية للشجرة هي الإثمار في أوانها، لكن هذا الإثمار لا يتعارض مع وجود الأوراق بل بالعكس فإنَّ الأوراق تُزيِّن الشجرة وتحمي الثمرة وهكذا لا يمكننا القول أنْ لا فائدة للأوراق في وجود الثمر. وهكذا الأمر بالنسبة إلى التعليم الدنيوي والتعليم الإنجيلي، فإن الهدف الأساسي هو التعليم الإنجيلي وهو التعليم الحق، لكن التعليم الدنيوي أو علوم العصر وثقافته لها أهميتها أيضاً.

إنَّ موسى النبي لمّا تعلَّم حكمة المصريين، ودرّبَ عقله بهذه الحكمة صار قادراً أن يعاين اللّه وينتقل إلى حكمة أسمى كما يقول سفر أعمال الرسل:« تهذّب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدراً في الأقوال والأعمال »(أعمال٧:٢٢) ، وهكذا دانيال تعلم حكمة الكلدانيين فصار أهلاً لفهم الكلمة الإلهية (دانيال ١:١٧).

إذاً في رأي القديس لا تَعارض بين العلم والدين فكلاهما معرفة ولكن يجب أن تكون غاية العلم الوصول إلى معرفة اللّه وإلى إدراك شيء من الحكمة الإلهية.بعد هذه النصيحة يُعبِّر القديس بوضوح قائلاً: «ربما هو مثبت بشكل كاف أن المعرفة الوثنية ليست غير مجدية للنفس»، لكنه للحال ينتقلُ القديس ليجيب على تساؤلين هما: أ) إلى أي مدى يمكن للمسيحي الخوض في مجال هذه الكتابات؟ ب) كيف يمكن للمسيحي أن يقرأ كتابات غير مسيحية كتدريب لفهم أعمق للمسيحية؟

يُقدّم القديس باسيليوس نماذج وهي بالنسبة إلى عصره كانت العلوم الأكثر شيوعاً وتطوراً وهي **الشعر والمسرح والخطابة والتاريخ والفلسفة**. ويُؤكّد القديس على ضرورة تمييز المرء لما يقرؤه، فيجب أن نقرأ فقط ما يفيد النفس وهو القصائد التي يعدد فيها الشعراء فضائل بعض الشخصيات أو عندما يمدحون الأعمال النافعة والمفيدة. لكن عندما يبدأون في مدح الخطيئة ووصف الأعمال المشينة فعلينا كمسيحيين أن نتجنبها، ونحذو حذو أودسيوس الذي سدَّ أذنيه عندما مرَّ قرب **السيرينات المغنيات**، واستطاع بذلك أن ينجو من خطرهن، لأنَّه كما يقول القديس باسيليوس: « الألفة مع الكتابات الشريرة تمهد الطريق للأعمال الشريرة، لذلك على النفس أن تكون حَذِرة بحرص شديد خشية أن نتلقى على حين غرّة، من خلال حبّنا للأدب، بعضَ الأمور الدنسة كما يشرب الناس السم مع العسل ».

إنَّ الأدب الذي يصف أموراً مبتذلة، ويستخدم الشتائم ويتغنى بالخلاعة والسُكْر، سيقود الإنسان برأي القديس باسيليوس إلى محاكاة هذه الخطايا، خاصة عندما تضع لنا بعض الكتابات تحديداً للسعادة بأنها تحقيق الملذات. ويذكر القديس ما يمكن أن يَرِدَ في بعض القصائد المعاصرة له من وصف لمخاصمات الآلهة وحروبها وزناها وكما يقول القديس:«هذه الأمورَ لا يمكن أن نتكلم عنها ولو بما يتعلق بالحيوانات دون أن نخجل».

يُقدِّم القديس الرأي نفسه في ما يتعلق بأمور المسرح من قصص وخَطابَة، ويُؤكِّد أنَّنا كمسيحيين علينا أن نرفض محاكاة هذه الأمور عندما تكون مفعمة بالكذب وتهدف إلى التسلية فقط. « نحن لن نحذو حَذْوَ الخطباء في فن الكذب. لا في محاكم العدالة ولا في شؤون العمل الأخرى سيكون الباطل نافعاً لنا نحن المسيحيين ». على المسيحي أن يتنقَّل بين كل هذه الآداب، بحسب نصيحة القديس، تماماً مثل النحلة التي تتنقل بين الزهور لتجمع الرحيق وتصنع العسل، وهذه الزهور هي بالنسبة للبشر مقبولة فقط لأنها جميلة المنظر وعطرة الرائحة لكن النحلة ترى في الزهور أكثر من المتعة والسرور، هكذا كل من يطالع الكتابات والآداب متطلعاً إلى ما هو أبعد من المتعة فإنَّه يجني فائدة كبيرة لروحه. النحلة تتنقل بين الزهور لكن بتمييز وتأخذ من الزهرة ما يناسبها ويفيدها هكذا علينا أن نأخذ من الآداب غير المسيحية بتمييز وحسن اختيار وبمعرفة وفقط ما يفيدنا. وهكذا نتجنب الأشواك وكل ما هو زائف لكي نجمع عسلاً هو المعرفة الحقيقية.

التربيّة في العائلة
معنى يوم الأحد بالنسبة الى الطفل
للمربيّة السويسرية سوزان سيمون

أنظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار... فملائكتهم يعاينون وجه أبي في السموات

كتبت المربّية السويسريّة سوزان سيمون في كتابها «التربية في العائلة» تقول: «إنّ حياة الإنسان كلّها، بما فيها مهنته، تتأثّر بنوعيّة أيّام الآحاد وجمالها التي أمضاها في طفولته». إذاً، هل نشعر، نحن الأهل، بأهميّة هذا اليوم ومعناه في تربية أطفالنا؟ نسمع في البلدان المسيحيّة الأجراس تقرع يوم الأحد تدعونا للمشاركة في القدّاس الإلهيّ، وأظنّ أنّ صوت الأجراس هذا، شئنا أم لم نشأ، طَبَعَ حياتنا بختمه المفرّح. كثيراً ما ينطبع يوم الأحد برنّة صوت الأمّ وهي توقظ أطفالها لتذهب وإيّاهم إلى الكنيسة. وكثيراً ما يسترجع الشابّ كيف كانت أمّه توقظه بابتسامتها العذبة، وكيف كانت تلبسه الثياب الجميلة لينطلق، وإيّاها، فرحاً إلى بيت اللّه. إنّه بالنسبة للطفل يوم عيد.

هكذا كان في الماضي، وأمّا اليوم فماذا يحصل في البيوت؟ وكيف يعيش أطفالنا يوم الأحد؟ فَكِّر أحدهم بأن يقوم بإحصاء ليرى نسبة العائلات التي تشترك بالذبيحة الإلهيّة يوم الأحد، ولكنّه خشي مغبّة هذا الإحصاء، إذ لا شكّ أنّ النسبة ستكون منخفضة جداً. فكثير من الأطفال حتّى سنّ الخامسة أو السادسة لا يعرفون بعد أن يرسموا إشارة الصليب، وهذا يعني أنّهم لم يطأوا أرض الكنيسة إلاّ إذا دُعي ذووهم إلى عرس أو معموديّة، أيّ في مناسبة اجتماعيّة، مع العلم بأنّ غالبيّة الأهل يَشْقُون من أجل تأمين الكثير لأولادهم، وإن استطاعوا تأمين الأكثر أيضاً يلهثون وراء تأمينه من دون أدنى تذمّر، ومن دون أن يسألوا أنفسهم إلى أين سنصل؟ وإلى أين تؤدّي هذه الطريق التي نسير بها مع أولادنا؟ أظنّ أنّه من المفيد أن نتذكّر بأنّنا خُلقنا لنعيش في الأبديّة.

يوم الأحد هو هبة من اللّه. إنّه يوم الربّ. إنّه اليوم الأبهى من كلّ الأيّام، وبهذا الاعتبار علينا جميعاً أن نحياه، صغاراً وكباراً، إن أردنا أن يكون لنا نبع فرح، نبع محبّة، نبع تجدّد، يوم مؤونة نتزوّد به لكافّة أيّام الأسبوع. هذه هي المشاعر التي ينبغي أن ينشأ الطفل عليها. يوم الأحد هو اليوم الذي يجب أن يجتمع فيه كلّ أفراد العائلة، إذ يبدو صعباً أن تجتمع مع بعضها في بقيّة أيّام الأسبوع. يعطينا يوم الأحد الفرصة لكي نحيا مع بعضنا البعض بفرح. ما أجمل أن ينطلق كلّ أفراد العائلة معاً إلى الكنيسة حيث ترتاح النفوس بمشاركة العبادة، وتتقوّى بالزاد الإلهيّ كمؤونة للأسبوع القادم.

لقد اخترنا هذا الموضوع أيّ معنى يوم الأحد بالنسبة للطفل لأنّ هذا اليوم لم تَعُد له قيمة في عصرنا، لا بل قد يمضيه غالبيّة الناس بطريقة مسرفة ومضرّة. ولكنّ معظم المربّين والمحلّلين النفسانيّين كانت لهم وقفة إقدام أمام القيمة الكبرى لهذا اليوم حتّى وصلوا إلى درجة شدّدوا فيها بأنّ الآحاد في سنّ الطفولة تهيّئ الأطفال لاستعمالها حسناً عند بلوغهم سنّ الشباب والنضوج. فكيف إذاً سيحيا الطفل يوم الأحد لكي يكون يوم راحة له، ويوماً مختلفاً عن بقيّة الأيّام في حياته؟

تكلّمنا، باقتضاب، عن المعنى الروحيّ ليوم الأحد، ولكن من الضروريّ أن نراه من وجهه الآخر، من الناحية الترفيهيّة، وذلك لئلا يعتقد الأهل بأنّهم قاموا بواجبهم إن اصطحبوا أولادهم إلى الكنيسة، وكفى. **طبعاً لا**.

لم يصل الأولاد بعد إلى المرحلة التي يشعرون فيها بحلاوة التسابيح وقداسة السرّ الإلهيّ أثناء الذبيحة الإلهيّة. إنّهم يتعبون كثيراً، وبخاصّة إن لم يلجأوا في اليوم السابق، أي يوم السبت، إلى نوم مبكّر، لأنّ النهوض يصبح أمراً صعباً، وربّما مرهقاً، لذلك على الأهل أن يُعنوا بشكل جدّيّ بيوم الأحد.

يجب أن يكون ليوم الأحد أثره في تمتين أواصر العلاقة بين أفراد العائلة، ويجب أن ينعم الطفل بحضور ذويه وإخوته معه بفرح، وأن يعوّض عن الوحدة القاتلة، بالنسبة إليه، التي عاشها طيلة الأسبوع المنصرم بهذا العيد الذي يجب ألاّ ينتهي بنهاية يوم الأحد. علينا أن نعترف بأنّ مشكلة أولادنا الكبرى، اليوم، أنّهم لا يتمتّعون بصحبة والديهم، ولسان حالهم يقول: «كلّ شيء أملكه، ولا ينقصني شيء، ولكنّي أرغب بأن يعطوني قليلاً من وقتهم، أن يلعبوا معي، أن نتحادث سويّة ولو قليلاً». ولقد أجابت طفلة في الثامنة من عمرها عن سؤال وُجّه إليها: «ماذا تطلبين من أهلك؟» فأجابت: «أريد أن أراهم، أن أفرح وإيّاهم». فالأحد هو يوم العائلة، يوم نُحَوّله من يوم عمل إلى يوم فرح ومتعة. أن يفرح الأولاد بوالديهم، وأن يفرح الوالدون ببنيهم، ولكن كيف سيتمّ هذا؟ من المهمّ جداً أن يعرف الأهل كيف يُسعدون أولادهم، من المهمّ أن يشعر الأولاد بأنّ أهلهم في هذا اليوم هم ملك لهم، لكي يستمتعوا

معاً بالفرح، لكي يتناقشوا ويحلّوا مشاكلهم سويّة، لكي يغنّوا ويهلّلوا معاً، لكي يفرحوا مع بعضهم البعض. لهذا ففي القديم كانت المائدة يوم الأحد مليئة بالأطايب، وكلّ أفراد الأسرة يعملون معاً لتجهيزها، وهكذا يشعرون باختلاف هذا اليوم عن بقيّة أيّام الأسبوع حين ينصرف كلّ منهم إلى عمله، ولا يتواجدون على مائدة مشتركة إلاّ نادراً، وهكذا تتمكّن الروابط الأسريّة أكثر فأكثر فيما بينهم.

تستطيع العائلة يوم الأحد أن تقوم معاً بزيارة أحد الأماكن الأثريّة بعد الاشتراك بالذبيحة الإلهيّة. ولكي تشعر بالشركة مع الآخرين، وبالتقارب الاجتماعيّ، تستطيع أن تتقاسم الطعام مع إحدى العائلات القريبة أو الصديقة، وتتبادل خلال الطعام الأحاديث الوديّة والفكاهيّة والمسليّة والبعيدة عن كلّ همّ وغمّ بعيدة عن مصلحة العمل أو المهنة. هذه الأمور مهمّة جداً، لأنّها تشدّ الواحد إلى الآخر في عصر فقدنا فيه كلّ علاقة حميمة مع الآخرين. كما أنّ الدعابة المتبادلة تخفّف من الضغط الذي عاناه الطفل طيلة الأسبوع في تحضير دروسه، ويخفّف من وطأة الجديّة التي عاشها طيلة الأسبوع المنصرم، فيتجدّد نشاطه النفسيّ والمعنويّ، ويقابل الأسبوع القادم بروح مرحة فرحة. هذه الأمور تجعل الطفل يذوب في العائلة، وتصبح عائلته فخراً له يتحدّث عنها وعن حميميّة العلاقات فيما بين أفرادها، ولا تعود الوحدة أو الروتين هما السيّدان السائدان.

هل نريد أطفالنا أن يحيوا بعيداً عن الرفاهيّة وتسليات هذا العصر المدمّرة ؟ فلنملأ أوقاتهم، إذاً، بتسليات وأعمال مفيدة. ويوم الأحد يمدّنا بهذه الفرصة.

الأحد هو يوم تمجيد اللّه كما أنّه يوم عائلي. يُعرف عصرنا بأنّه عصر التمركز حول الأنا حيث كلّ فرد يلتفّ حول نفسه، ولذلك فمن المستحسن أن نربّي أولادنا على تذوّق طعم العطاء، ويوم الأحد يتقدّم منّا كيوم محبّة ويوم عطاء، إذ يمكننا أن نكرّس أحد أيّام الآحاد لخدمة الآخرين، كأن نجهّز بعض الأطعمة مع أولادنا، نأخذها إلى أحد الفقراء، فتكون لأولادنا درساً في العطاء والمحبّة. يوجد في فرنسا دور للأيتام يجهّزون بعض ألوان الطعام، ليأكلونها مع شيوخ لا يوجد من يعتني بهم، وهكذا يخلقون تواصلاً في ما بينهم وبين هؤلاء الشيوخ. وهذا الأمر مهمّ جداً لأن يتذوّقه أولادنا يوم الآحاد، فيحسّون بطعم آخر يتميّز عن طعم بقيّة الأيّام حيث ينغمسون إمّا بالدراسة أو بالأعمال، ويتعلّمون الخروج من الأنا، وعدم التمركز حولها. كما يتعلّمون أنّ الحياة ليست فقط في الأخذ، بل المعنى الحقيقيّ لها هو في العطاء، لأنّهم بهذا يكونون قد أخذوا أيضاً بطريقة غير مباشرة.

ليس الفرح في أن نكون نحن فرحين، بل في أن نقدّم الفرح للآخرين. الفرح الأكبر هو عندما أقدّمه لشخص أعاني من مشكلة معه، وأجعله يصبح قريباً منّي، بل بالأحرى أصبح أنا قريباً منه، فنشترك سويّة بفرح يوم الأحد. إنّه المجال الأكبر لتحطيم الأنا، أي أن أسعى يوم الأحد في التقرّب ممّن هم بعيدون عنّي ولأسباب شتّى.

المناولة الإلهية هي دواء الخلود .

الحياة المسيحيّة معين لا ينضب، وهي ليست روتيناً مملاً، ولا لها طابع محدود. إنّها خَلق قبل كلّ شيء. الإنسان العصريّ أصبح اليوم جهازاً يستقبل من دون مقاومة وبخاصّة برامج التلفزيون. لقد جعله التلفزيون ينسى أنّه يحوي في داخله محرّك قويّ يدفعه للخلق. فإن استعملنا نحن هذا المحرّك لدى أبنائنا، فسوف نجعلهم خلاّقين ومبدعين. فالحياة الروحيّة بخاصّة، والمسيحيّة بعامّة، ليست «بممنوعات» أو «محرَّمات»، بل هي حياة عطاء وخلق. ولذلك يصبح يوم الأحد بالنسبة للطفل يوماً للإبداع والخلق اللذين يرافقانه طيلة حياته، وتصبح ثمارهما وافرة وذات قيمة، وسوف يتوقّف الملل عن أن يحاربنا.

نستطيع أن نستغلّ ساعة من ساعات يوم الأحد إمّا بمسابقات في الكتاب المقدّس تتمّ بطريقة شيّقة وجذّابة للطفل، أو بحوار حول أحد حوادثه أو حول العظة التي سمعناها من الكاهن في الكنيسة أو حول موضوع قرأناه في مجلّة ما، أو باتّخاذ قرار للتقدّم في فضيلة معيّنة ونبذ رذيلة متأصّلة في الأسبوع القادم على أن يتمّ فحص تنفيذ القرار في الأحد التالي، أو في فحص شامل للأسبوع المنصرم، ووضع أعمالنا في كفّتيّ الميزان لنرى أيّهما الراجحة: الأعمال الصالحة أم الطالحة منها. كلّ هذا يتمّ بحوار حميم لا يُتعب ولا يُسئم الطفل. والهدف من كلّ هذا أن يتعلّم الأطفال التفكير والانتباه إلى نفوسهم، وأن يضعوا أساساً متيناً وصالحاً لحياتهم المستقبلة، أيّ أن يكونوا رجالاً (أو أمّهات) صالحين مؤسَّسين على صخرة الإيمان الصحيح والفكر السليم.

لا بأس من التذكير ثانية بأنّ الحوار يجب أن يتمّ بجلسة وديّة، لا يكون فيها معلّم وتلميذ، بل تترك فيها الحريّة التامّة لأطفالنا لإبداء انتقاداتهم وآرائهم واعتراضاتهم واقتراحاتهم، لأنّ كلّ هذا سوف ينطبع في ذاكرتهم ليكوّن شخصيّة الغد، ويتعلّمون كيف يتحاورون في المستقبل مع أصحابهم وأساتذتهم، كما يتعلّمون كيف يرشدون غيرهم، وعوض أن يكونوا تابعين يقودون، وعوض أن يوجَّهون يوجِّهون.وهكذا يصبح يوم الأحد يوم لقاء بيننا وبين أطفالنا وأبنائنا، يوماً يبعث الحبور في النفوس فتنتظره أسبوعيّاً فرحةً بلمّ الشمل. ولكن، ولكي نحقّق كلّ هذا، يتطلّب الأمر مجهوداً وتَعباً ممّا يجعل البعض يتساءلون: أهكذا ينبغي أن نقضي حياتنا كلّها تعباً بتعب؟ ألا يحقّ لنا، حتّى يوم الأحد، أن نرتاح؟ أتجاسر

على الإجابة بكلمة كلا. ولكي أبرّر هذه الـ (كلا) أطرح هنا سؤالاً: هل هو متعب أن أقضي يوماً واحداً مع أولادي أو ساعات على الأقلّ إن لم أقل يوماً؟ قد يكون الجواب نعم. وهنا أسأل ثانية: **ولكن، أليس متعباً أكثر أن أقضي ليالي مترقّباً رجوع ابني المراهق من سهرته؟** نعم هذه هي الحقيقة اليوم.

كثير من الآباء يسهرون منتظرين قدوم أبنائهم من سهرة قضوها خارج البيت العائليّ. قد نقول بأنّ العصر قد تغيّر، والزمان يفترض أن نتوافق وأولادنا وأمزجتهم. قد يكون هذا القول صحيحاً إذا عرفنا كيف نربّي أولادنا منذ الصغر، وعلى أيّة مبادئ أخلاقيّة رست سفينتهم، وأيّة فضائل غرسنا فيهم، وأيّة رذائل اقتلعنا منهم. ثمّ لا يجب أن ننسى أو بالأحرى أن نتجاهل بأنّ هناك مغريات وبدعاً شيطانيّة تبث روحها بين شبابنا وبطريقة لصوصيّة، **فالتلفزيون والمخدّرات والقمار والعشرة الرديئة**... لهم اليوم السيادة المطلقة. لذا يجب أن يكون همّنا، نحن الأهل، أوّلاً، كيفيّة الخلاص الأبديّ وعيش الفضيلة، لكي نكون مثالاً لأبنائنا، حتّى إذا ما توفّرت لهم كلّ وسائل الترفيه والتسلية السيّئة لا يتأثّرون بها، بل يستطيعون، بمعونة اللّه وسهرنا، أن يتجاوزوها.

ليوم الأحد التأثير الكبير على طفلنا، فكما يعيشه يعيش بقيّة الأسبوع. فإن كان الجوّ العائليّ في هذا اليوم حاراً ودافئاً، فإنّ الطفل سيتمتّع بالقوّة اللاّزمة لمجابهة صعاب الأسبوع المقبل. وإن لم يكن له هذه المقدرة، فعلى الأقلّ لا يُبتلَع من الصعاب، بل يحاول

دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم

أن يجد له مخرجاً بالعودة إلى الأحضان الأسريّة. لهذا نريد أن يكون ليوم الأحد طعم الفرح والجمال، وأن يكون مباركاً بذكر الربّ.

كلمة أخيرة لا بدّ أن نقولها للكهنة المتزوّجين، وهي أنّه يجب الحرص ألاّ يكون كهنوتهم عائقاً لأولادهم ليعيشوا حياة اجتماعيّة هانئة، فالراهبة ماجدولين من دير إسكس في بريطانيا ذكرت في كتابها «توجيهات إلى أبناء الكنيسة الأرثوذكسيّة اليوم» بأنّه «لا ينبغي أن يشعر أولاد الكهنة بالحرمان من التمتّع بيوم الأحد، لأنّ هذا سيخلق لهم شعوراً مضاداً لهم وللكنيسة، لا بل للربّ يسوع نفسه».

خطرات أفكار

«الفضائل تستحيل في النفوس الرذلة رذائل، كما يستحيل الغذاء الصالح في البدن الفاسد الى الفساد».

«سُئِلَ بعضهم: أخبرني كيف أتخلّص إلى السلامة من الناس. فأجاب: بثلاثة أشياء، وهي تعطيهم مالَكَ ولا تأخذ مالَهم. وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك. وتصبر على أذاهم ولا تؤذيهم. فقال السائل: إنها لصعبة. أجابه: **وليتك تسلم**».

«الذي نحنُ له على الأرض، نحن له في السماء».

«مشتهيات المرء مرآة صفاته، فإن كانت شريفة كان شريفاً»

قال بعضهم يوصي آخرَ: «إني أجمع لك العلم كلّه في ثلاث كلمات؛ خف اللّه حتى لا يكون أحد أخوَف لَك منه. وارْجُ اللّه حتى لا يكون أَحد أرجَى عندك منه. وأَحبَّ اللّه حتى لا يكون أحد أحب إليك منه. فإذا فعلت ذلك فقد علمتَ علم الأولين والآخرين».

حُكِيَ أنّ اللورد برغهام قال: «لو كنتُ صبّاغ أحذية لاجتهدت في أن أحاول إحكام صبغها إلى أن يعلم أهل أنكلترا إني أمهَر صابغي الاحذية فيها». وقال حكيم: كل ما يستحق أن يُعمَل فاحكم عمله.

وما أحسَن قول المتنبي في هذا المعنى

ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً كنَقصِ القادرين على التمام

تربية الأولاد تربية مسيحيّة

حَرِّض بَنيكَ على الآداب في الصِّغَرِ (الصِغَرِ)

غَرِ كيما تقرَّ بهم عيناكَ في الكِبَرِ

وإنما مثلُ الآداب تجمعُها

في عنفوان الصِّبا كالنقشِ بالحجر

هي الكنوزُ التي تنمو ذخائرها

ولا يخافُ عليها حادثُ الغِيَرِ

إنَّ الأديبَ إذا زَلَّت به قَدَمٌ

يَهوَى إلى فُرُشِ الديباجِ والسُّرُرِ

الناسُ إثنانِ ذو علمٍ وَمُستَمِعٍ

واعٍ، وسائرهم كاللغْوِ والعَكَرِ

أريحا

أريحا ومعناها «مدينة القمر» أو «مكان الروائح العطرية» . وهي تقع بحسب ما جاء في سفر التثنية (٣٢:٤٩)، مقابل جبل نبو وتدعى أيضاً «مدينة النخل» (تث٣٤:٣) ، وكانت محاطة بسور (يش٢:١٥) ولها بوابة تغلق ليلاً (يش ٢:٥) ويحكمها ملك . وعندما أُخذت أريحا ، وجدت فيها أوان من النحاس والحديد ، وكميات كبيرة من الفضة والذهب ، «ورداء شنعاري نفيس» (تش ٧:٢١) . وكانت تقع على الضفة الغربية للأردن ولا تبعد كثيراً عن خيام إسرائيل عند شطيم قبل عبورهم النهر (يش٢:١) ، وكانت المدينة تمتد في السهـول (عربات) ، ولكنها كانت قريبة جداً من الجبال نحو الغرب (غالباً مرتفعات كارانتانيا ـ الموقع التقليدي لتجربة المسيح على الجبل)، وبذلك كان من السهل أن يصل إليها الجاسوسان اللذان خبأتهما راحاب. وكانت أريحا من نصيب بنيامين (يش ١٨:٢١)، حيث يصعد تخمهم إلى جانب الأردن من الشمال (يش ١٨:١٢) . ويتفق الثقاة على وجه العموم ، على تحديد موقع المدينة القديمة عند «**تل السلطان**» على بعد ميل ونصف إلى الشمال الغربي من أريحا الحديثة حيث توجد أكمة تبلغ ١٢٠٠ قدماً طولاً وخمسين قدماً ارتفاعاً ، وتعلوها أربع أكمات أصغر منها بيلغ أعلاها ٩٠ قدماً فوق مستوى قاعدة الأكمة الرئيسية .

وتلقى الحالة الجيولوجية ضوءاً عظيماً على احتلال يشوع لأريحا (يش٦). فإذا قلنا إن المدينة قد بنيت على الطبقات الرسوبية التي تراكمت إلى عمق كبير في وادي الأردن، في أثناء توسع البحر الميت في العصر البلستوسيني (أو الجليدي) ، إذا افترضنا ذلك ، يصبح السقوط المفاجيء للأسوار مفهوماً لكل من يؤمن باللّه وبقدرته ، سواء بالنسبة لعلم اللّه السابق بالمستقبل ، أو بتحكمه ـ حسب إرادته ـ في الأسباب الثانوية التي يتعامل معها الإنسان في الطبيعة . فالقصة لا تقول إن النفخ في الأبواق هو الذي كان له الأثر في سقوط الأسوار ، بل تقول ـ ببساطة ـ إنه في لحظة معينة حاسمة في اليوم السابع ستسقط الأسوار ، وفعلاً سقطت الأسوار في تلك اللحظة ، وبذلك يمكن اعتبار المعجزة إما نتيجة التنبؤ ، حيث ربط الخالق ـ بإعلانه مجريات الأمور ليشوع ـ العمل الإلهي بالنشاط البشري فكانت النتيجة معجزة حقيقية، أو يمكن اعتبار الهزات التي أسقطت الأسوار نتيجة لعمل إلهي مباشر تماماً كما يحدث بواسطة الإنسان عندما يحدث انفجاراً ديناميتياً في وقت معين ومكان معـين . هذه الظواهر الطبيعية تشبه تماماً ما حدث في زلزال سان فرنسسكو في ١٩٠٦م حيث ـ حسبما جاء في تقرير اللجنة العلمية التي عينتها الدولة ـ «حدث أعنف تدمير للمباني المقامة على أرض صناعية ، إذ يبدو أن هذه الأرض كانت في أثناء الزلزال مثل مادة جيلاتينية في إناء ، أو كمادة نصف سائلة في حوض». أما مدينة «سانتاروزا» الواقعة في قاع الوادي والمرتكزة بعمق على بعض التكوينات الجيولوجية غير المتماسكة جيداً . . . على بعد عشرين ميلاً من الفجوة ، فقد تعرضت لأعنف هزة في الولاية وعانت أعظم مأساة بالنسبة لعدد سكانها وامتدادها.

وهكذا يمكن لزلزال يمتد على حافة أخدود الأردن العظيم أن يحدث بسهولة نفس الظواهر التي سبق وصفها في المكان والزمان اللذين سبق الإعلان عنهما ليشوع ، وهي تعتبر معجزة من الدرجة الأولى . ومع أن يشوع تنبأ (يش٦:٢٦) قائل : «ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة ، ببكره يؤسسها وبصغيره ينصب أبوابها » فقد أعاد بناءها حيئيل البَيتئيلي في أيام أخآب الملك (١مل١٦:٣٤) ، وتحققت النبوة حرفياً.

كما أن رسل داود إلى حانون بن ناحاش ملك بني عمون ، «أقاموا في أريحا» حتى تنبت لحاهم (٢صم١٠:٥،١ أخ١٩:٥). وكانت بها في أيام أليشع مدرسة للأنبياء (٢مل٢:٥)، ويرد ذكر المدينة مراراً في العهد القديم وكتب الأبوكريفا (٢أخ٢٨:١٥، ٢مل٢٥:٥، إرميا ٣٩:٥، عزرا٢:٣٤، نحميا ٣:٢،٧:٣٦، ١مك٩:٥٠) ويصفها يوسيفوس ، وسهولها الخصبة المحيطة بها ، بعبارات رائعة . أما في أيام المسيح ، فقد كانت مكاناً هاماً يدر دخلاً كبيراً للأسرة المالكة . ولكن المدينة التي بناها هيرودس ، كانت على هضبة أعلى عند سفح الجبل الغربي عند «بيت جبر» حيث توجد بقايا قلعة صغيرة. وكانت أريحا ملتقى المسافرين الجليليين الراغبين في تفادي اجتياز السامرة ، سواء في ذهابهم إلى أورشليم أو عند عودتهم منها . وقد زارها في كل العصور الحجاج الذين يأتون من أورشليم للاغتسال في الأردن.

وفي ١٩٠٧ ـ ١٩٠٩م قام «سلين ووارنجر» بالتنقيب عن آثار أريحا حيث اكتشفا مدينة كنعانية يعتقد أنها تلك التي دمرها يشوع إلا أنه لم توجد أسوار للمدينة فوق الأرض. أما كونها مدينة كنعانية ، فهذا ما لا مجال للشك فيه ، ولكن «فنسنت» ألقى بعض الشك فيما يختص بتاريخ تلك المدينة ، ويشاركه في ذلك «ألبرايت» أما القحط والجفاف الشديد في هذه المنطقة في الوقت الحاضر ، فإنما يعزى ـ إلى حد بعيد ـ إلى التخريب الذي حدث للقنوات التي كانت تغذي السهل قبلاً بالمياه المنحدرة إلى الوديان من جبال اليهودية. إن الكثير من هذه الأطلال تشهد في صمت عن سر اضمحلالها ، فقد كانت هناك اثنتا عشرة قناة في مستويات مختلفة تتفرع من وادي القلت لتروي السهل شمالاً وجنوباً ، وقد تم ترميمها في العصور الوسطى حتى أمكن زراعة محاصيل وفيرة ومتنوعة من القمح والشعير والذرة والتين والعنب وقصب السكر.

الصراع العقلي ضد الخطيئة

لمؤازرة روحانية صوم الميلاد والاستعداد لقبول السنة الجديدة

لمثلث الرحمات الأب متى المسكين

العقل هو الميدان الأول الذي يتقابل فيه الإنسان مع الخطيئة، وهو الحدود الأمامية التي تتلاقى فيها البشرية مع عدوها الألد: **الشيطان**.

ولا عجب أن يختار العدو عقل الإنسان كميدان لمصارعاته العنيفة. فالعقل كما يقول أحد علماء النفس: «هو التاج الذي يعلو الجسم الإنساني ويدير دفة حركاته وسَكَناته سواء في اليقظة أو المنام في شعوره وإدراكه ووجدانه وإرادته وتفكيره. فهو المركز الرئيسي المسيطر على السلوك الإنساني».

إذن، فلو انهزم الإنسان في هذا الميدان فقد مَلَكَ الشيطان كل مواهب هذا الإنسان وإمكانياته !

هذا علاوة على أن الشيطان نفسه كما عرفناه هو قوّة عقليّة، وهو وإن كانت له قدرات فائقة مختلفة إلا أن تأثيره لا ينفذ إلينا إلا عن طريق العقل فقط.

وهذه حقيقة هامة يعوز الكثير منا خصوصاً الذين يجاهدون الجهاد الحسن في ميدان الفضيلة والبرّ والتعفُّف أن يتعرفوا عليها. فالشيطان وإن كان قوة روحية هائلة إلا أن ميدان نشاطه محدود للغاية ضد الإنسان فهو لا يستطيع مواجهته إلا عن طريق العقل فقط. وهو الجزء الوحيد من طبيعتنا الذي يستهدف للحرب معه.

ولكن ليس بالأمر الهيِّن على الشيطان أن ينتصر على عقل الإنسان أو أن يستطيع بسهولة اقتحام هذا الجهاز الإلهي الجبَّار. لأنه بالرغم من أن الشيطان قوة عقلية إلا أن طبيعة هذه القوة تختلف في شيء عن طبيعة القوة العقلية في الإنسان، وهذا الإختلاف يهيء لنا الفرصة للتعرّف عليه عندما يقترب من تفكيرنا. فليس عسيراً على أي إنسان عادي أن يكشف فكرة خبيثة يدسها الشيطان له !

ولكن لا يزال أيضاً العقل البشري يمتاز عن غريمه بشيء أهم. فالشيطان قد حُرم نهائياً وإلى الأبد من أي معونة إلهية خلاف طبيعته العقلية الأَصلية. أما الإنسان فهو حبيب اللّه الذي لم يُحرم من رحمة القدير منذ البدء، وحتى في أشد حالات نكوصه وارتداده كان ولا يزال مصباح اللّه (الحق) يشتعل في عقله وضميره ليهديه الخير ويُجَنّبه معاثر الشرير. لذلك فعندما نصطرع مع عدوّنا بأسلحة محاربتنا العقلية نجد أننا في حالة أفضل وأضمن للنصرة.

وقد برهن كثير من المجاهدين القديسين على هذه الأفضلية وهذه النصرة واستطاعوا أن يذلّوا فخر الشيطان ويجبروه على الفرار مقهوراً في ميدان الحرب العقلية.

استدراج:

لا تبدأ الحرب العقلية مع الشيطان عنيفة أبداً وذلك لسببين:

الأول: هو أن الإنسان قوة مخيفة للعدو لأنها غير معروفة عنده تماماً خصوصاً إذا لم يكن الإنسان قد انسبق وانهزم أمامه بصورة واضحة أي لم تنكشف نفسه أمامه.

أما الثاني: فهو إمكانية معونة اللّه الأكيدة والسريعة التي ينالها الإنسان عند صراخه إلى اللّه عندما ينتبه فجأة إلى حركات العدو ويكتشفها.

من أجل هذين السببين يبدأ العدو حربه على الدوام هادئة، بتقديم مجرد مشورة أو عرض لفكرة ـ **خاطئة طبعاً** ـ ولكن تتناسب في خبثها مع حالة الإنسان الروحية.

عجز:

وهو بعد أن يقدِّم فكرته الخبيثة المحبوكة لا يملك بعد ذلك أن يتقدم خطوة واحدة إيجابية في تفكيرك الخاص. وهذه رحمة من اللّه على طبيعتنا البشرية. لأنه لو كان للشيطان قدرة التسلّط على تفكيرنا أو إمكانية تحريك عقلنا لمصلحته ما كان في استطاعة إنسان أن يفلت من سطوته وشرّه.

ولكنه يعوِّض عجزه السابق بقدرته التردد بنفس الفكرة بطرق مختلفة بغير كلل أو ملل. أما الإنسان فإنه يحس بهذه الفكرة المترددة على عقله ويستشعر بخبثها ولكن يرى في تقديمها علَّة ومناسبة استطاع العدوّ أن يستخدمها إلى أبعد حدود المكر والدهاء. !

اقوى أسلحة العدو:

هذه أقوى اسلحة الشيطان: مُناسَبَة التجربة لواقع الحال!

ـ ولما جاع أخيراً تقدَّم إليه المجرِّب بفكرة تحويل الحجارة خبزاً!

ـ ولما شعر داود بالقلق والضجر النفسي وصعد ليتمشى على السطح قدَّم له الشيطان منظر امرأة تستحم !

فهو لن يزأر حولك دائماً كالأسد! فحينما تقف لتصلي أو في أثناء ساعات جوعك في جهاد الصوم المبارك أو حينما تجول تصنع خيراً، في هذه الساعات ما يطيق العدو أن يقترب منك لأن أمانتك وثقتك وحبك للّه سهام نارية موجعة جداً له. والسبب في ذلك معروف، فهو الملاك الحانث المرتد عن الإيمان والثقة ومحبة اللّه. وشعوره كشعور ملحد في هذه الأيام. ولكن حينما تنتهي من صلاتك أو تفرغ من صومك أو تعود من جولاتك الرحيمة يتقدم، ولكن ليس كأسد لأنك تكون لازلت مفعماً بقوة الخير، وإنما كحية لئيمة تمزج اللين بالخبث.

يقول لك ما أكرمك اليوم بالحق، لقد تشبَّهت بالقديسين! وما أسهل أن تصدق ذلك، لأن كلام الشيطان في القلب ليّنٌ كالزيت وهو أحدّ من السيف!

والويل والحزن للعقل الذي ينخدع بمديح وتكريم الحية، لأن العدو يعود إليك في الحال ومعه صورة قديمة لإنسان كان قد أساء إليك أو امتهن كرامتك فيثير فيك مفاضلة مزعومة بين قداستك تلك وامتهان هذا الانسان الحقير لك. وحينئذ يكون قد نجح في تقديم فكرة الكرامة في وقتها المناسب ثم يُشعل ثقاب البغضة في زيت القداسة المزعومة. وحينما ينفعل قلبك ويبتدىء لهب الكراهية يرتفع، حينئذ يبدأ الأسد يتحرّك وقد ضمن فريسته فيجول يزأر وهو مطمئن أن النفس قد تخدَّرت بالحقد والبغضة وصارت في نصف وعيها !! فيوعز إليها بالنقمة والضربة القاضية !!

وهكذا يتناسب الشيطان ويتشكَّل في طُرُقه وفي حيَله، فهو كالأسد حينما يملك، أو كالحية حينما تستشعَر منك اليَقَظَة، أو كالدخان حينما يفتضح أمره بصرخة استغاثة إلى اللّه!

ولكن سواء كان هذا أو ذاك، فلك أن تثق أنه لا يملك أن يستخدم الضغط على الإطلاق طالما لم تقبله.

فعقلك هو معقل النور الإلهي الذي لا يقوَى رئيس الظلمة على اقتحامه قطّ إلاّ إذا أطفأت أنتَ بيدك مصباح الحقّ الإلهي المنير فيه بقبولك مشورة العدو إذ تكون أحببت الظلمة أكثر من النور.

ومهما كانت تفاهة الأفكار التي يعرضها العدو في الشرّ والنجاسة فهي لا تستطيع أن تُدنِّس عقل الإنسان أو توقعه تحت أي دينونة أو عقاب طالما لم يتقبلها الإنسان أو يُظهر لها علامة الرضا أو الأستحسان.

وإلى هذا الحدّ يظل الشيطان كعدو عاجز أمام حصنٍ منيع.

درجات السقوط:

ولكن في اللحظة التي يتقبل فيها العقل الخطية مرتضياً بها وموقِّعاً على صك المشورة ببصمة الإرادة الحرّة، حينئذ تُصبح الخطية عنصراً داخل العقل.

+ فالخطية تُقترف بالعقل أولاً (اقترافاً كاملاً).

«كل مَن ينظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه» (مت ٥:٢٨).

+ اقتراف الخطية بالعقل هو عبارة عن تزاوج يتم بين مشورة شريرة مقدّمة من الشيطان وإرادة حرّة للعقل الواعي مع حصول إتفاق وتراض، وإن كان الطرف الثاني أي العقل يشعر دائماً بخبث الأولِ وعدم صِدقه، إلا أنه يخضع له لكثرة إغرائه ولباقته بالعرض المحكم واستخدام الفُرص المناسبة.

+ الجنين الشيطاني يتم تفريخه داخل العقل ويولد بالعمل أي بالفعل.

+ أما العقوبة المستحقة تلقائياً فهي: السقوط التلقائي فهو لأن الجزء الساقط من الإنسان ليس هو الجسد الترابي الفاني ولكنه الجزء الروحاني الخالد أي النفس العاقلة التي سيقع عليها الثواب أو العقاب، والتي تمثلها الإرادة الحرّة وموافقة الضمير.

+ ولكن بمجرّد تتميم الخطية بالجسد بالفعل يصير العقاب غير قاصر على النفس بسقوطها من المستويات الروحية العالية، بل يتعدّاه إلى الجسد فيجعله غير متوافق مع البرّ والطهارة والتعفّف والقداسة في نور اللّه. وحينئذ تستقر الظلمة على كل حواس الإنسان ظاهراً وباطناً.

كيفية الجهاد الإيجابي في الصراع مع العدو:

١ ـ حصر الأفكار الشريرة بعيداً عن التفكير العادي وعدم قبول أي مساومة معها أو تنازل لها.

٢ ـ تحصين التفكير العادي بالمبادىء والمُثُل العليا والوصايا أي كلمة الإنجيل، لما لها من قوة ذاتية.

٣ ـ التمرُّن على حفظ الإرادة صديقة لإيحاءات الحق والشرف والفضيلة مهما كانت التكلفة.

٤ ـ عدم التهاون بالتفكير المسترسل للعقل ليجول كيفما شاء ، بل يُجعل له حدودٌ في نطاق كل ما هو حقّ وطاهر وشريف، مع تكوين علاقة وطيدة بالإنجيل والقديسين، لأنه رصيد مبارك له أكبر التأثير على إتجاهات تفكيرنا وإرادتنا أثناء العمل الجدِّي أو في لحظة تقرير المواقف والمصير.

التريكويترا Triquetra

هو رمز للثالوث إستُخدمَ في بريطانيا العُظمى ؛ وهو يتكوَّن من ثلاثة أقواس متساوية ترمزُ إلى الوحدة بين الأقانيم، ومُتصلة ترمزُ إلى السرمديَّة، والتشابك يرمزُ إلى عدم الأنقسام. وفي حركة الأقواس الدائريّة رمزٌ للتدبير الإلهي لخلاص الإنسان، فالقوسُ الهَابطُ رمزٌ للمسيح الكلمة حيثُ أخلى ذاته ونزل إلى الأرض، والقوس المستعرض هو رمزٌ للآب حيث الثبات والإتّزان، والقوس الصاعدُ رمزٌ للروح القدس حيث يسمو بالإنسان صاعداً به إلى التقديس، ومركز هذه الحركة الدائريّة المتشابكة هو الإنسان محور إهتمام اللّه.